20 me année No 1010

Le Caire 10 — 11 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

المدد ١٠١٠ « القاهرة في يوم الاثنين ٢١ صفر سنة ١٣٧٢ — ١٠ نوفمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

نصيب قريتي من الثورة

قريتي الصغيرة الفقيرة هي إحدى القرى الخمسين التابعة لمركز طلخا؛ ومركز طلخا هو أوحد المراكز جميعاً في خفش النظام الإقطاعي وفجوره. كل ما علك فلاحه من أرضه أمتار ينام فوقها وهوحي، وأشبار يرقد تحتها وهو ميت. أما ملاكه فهم آل طرسون، وآل البدراوي، ومحمد علي، ووحيد يسري، وسرسق، ووزارة الأوقاف! لذلك كانت جملة الأرض التي نزعها قانون الإصلاح الزراعي من كبار ملاكه، ليوزعها على صغار زراعه، اثنين وثلاثين ألف فدان في السنة الأولى من سني التوزيع الخمس! وهذا الرقم الأولى الضخم يشعرك ولا شك بالحياة الأليمة التي كان يحياها أولئك البائسون التعسون في ظلال الأسرة العلوية الكريمة!

كانوا يعملون العام كله دائبين ليل نهار، لا تختلف امرأة عن رجل، ولا يتخلف صغير عن كبير، ولا تفترق ماشية عن آلة. حتى إذا آتت الأرض الطيبة أكلها فحصدوا القمح، وضموا الرز، وجمعوا القطن، وقطعوا الذرة، ذهب أولئك كله إلى المالك المرهوب، إما عيناً في مخازنه، وإما نقداً في خزائنه! أستغفر الله! لقد تدرك الرحمة أحياناً قلب الباشا أو الأمير، فيترك للفلاح أو للأجير، أرغفة من الذرة يتبلغ بها كل يوم، وجلباباً من القطن يرتديه طول السنة، وأرطالاً من اللحم يتذوقها كل عيد! أما نصيبه من ثمن قطنه ورزه، فيقول له ناظر البدراوي: أخذناه لأن أباك أو جدك كان مديناً لنا في الماضي! ويقول له مفتش طرسون: حجزناه لأن إجارتك ربما تخسر في المستقبل! فإذا هم بأن يشكو، حجز الناظر ماشيته عن الغيط، ومحصوله عن البيت. وإذا جرؤ على أن يحتج، أمر المفتش (مأمور البوليس) أن يمتثله أياما ليسلمه إلى جنوده فيصبحوه بالعصا، ويمسوه بالكرباج!

في قرية من قرى هذا المركز البائس نشأت؛ وفي غمرة هذا البؤس الذي لا حد له ولا حيلة فيه رأيت الباشا كيف يطغى وينسى الله، والمفتش كيف يبغي وينسى العدل، والفلاح كيف يذل وينسى الحرية، والأجير كيف يهون وينسى الحياة!

وفي (وحي الرسالة) في مجلداته الثلاثة وصفت مآسي هذه الأمة من الناس، وهذه القرية من القرى، وصفا كان مداده الدمع، وكانت كلماته الأنين! فإذا عرفت أمرهم على الوجه الذي عرفته، وأدركت حالهم من الوصف الذي وصفته، تبينت في جلاء ويسر نصيبهم من نهضة الجيش. لقد كانوا أذلاء فعزوا؛ وكانوا أرقاء فسادوا؛ وكانوا أجراء فملكوا. ثم كانوا أداة إنتاج لغيرهم فأصبحوا عامل استغلال لأنفسهم؛ وكانوا رعايا الباشا كالدواب فأصبحوا رعايا الدولة كالناس! وجملة أمرهم أن الله انتقم لحرمانهم من الحارم، وداول الأيام بينهم وبين الظالم، فكانت البؤسي لمن بغى، وكانت النعمى لمن صبر!

احمد حسن الزيات

الإسلام في موكب الإصلاح

توحيـــد الزى

للأستاذ محمد عبد الله السمان

حين وثب الجيش المصرى الباسل وثبته المباركة ، رجونا الله عز وجل أن يهب للشعب فقها فى عقليته ، حتى يهضم معانيها ويساير خطواتها ، فتؤتى أكلها ، وتقدم للوطن من ثمراتها الطيبات ما ينهض به ، ويعلى كلمته ، ويرفع قدره

ولقد أتاحت وثبة الجيش المباركة فرصة طيبة للإصلاح حتى يقوم على أسس ثابتة ؛ ومهدت للنهضة حتى ترتكز على أصول مستقرة ، وكان يحدونا الأمل فى أن تجد الفقهاء من المصلحين حتى يضعوا أسس الإصلاح ، والفقهاء من المشرعين حتى يضعوا أصول النهضة ؛ ولكن يظهر أن الفقهاء من المصلحين يضنون بفقههم على مصر ، والفقهاء من المشرعين يدخرون فقههم لبلد غير مصر ؛ أو أن الفقهاء من المصلحين والمشرعين لم يزل اليأس الذى أورثهم إياه العهد البائد يجثم على صدورهم ، فآثروا الدعة على النشاط ، والانزواء على النهوض ، وتركوا الميدان خاليا إلا من شراذم تصنع الثرثرة فى توافه المسائل ، والجلبة فى سفساف الأمور ، والرغاء فى كل ما من شأنه أن يثير الجدل والمراء !

ولعل فى مهزلة « توحيد الزى » التى تمثل اليوم على المسرح دليلا على ما قدمت . فأى معنى لأن يرتفع سمرها وتروج سوقها فى وقت لا حاجة لنا بها ، ونحن فى مستهل عهد جديد مشرق نريده جدا لا هزلا ، وحقا لا عبثا ، ونرجوه مقوضا أركان العهد البائد وماحيا آثاره ، ومحققا لآمال الشعب وأمانى الوطن ! أى معنى لأن يرتفع سمر المهزلة وتروج سوقها اليوم ، وهى لا تعود على البلد بذرة واحدة من الخير ؟ إنها لا تدفع جوعا عن بطون أعياها الجوع ، ولا تستر أجسادا أضناها العرى ، ولا تهدىء نفوسا أثقلها الفقر ، وأنهكها الشقاء ، وأفزعها الحرمان !

البلد ما زال فى مسيس الحاجة إلى الإنعاش الاقتصادى حتى تهدأ النفوس ، والبلد ما زال فى مسيس الحاجة إلى كثير من نواحى الإصلاح حتى تستقر الأوضاع ، والبلد ما زال فى مسيس الحاجة إلى الخطوات العمرانية حتى تستقيم الأمور ، وشعب هذا البلد فى شدة الحاجة إلى بعثه من جديد ، وخلقه خلقا آخر حتى يكون جديرا ببلد يبنى الإصلاح فى شتى صوره ، ويبنى النهضة فى أكمل منازلها ، ويبنى الرفعة فى أسمى درجاتها ، وليس البلد فى حاجة إلى توحيد الزى ، ومعظم الشعب يجهد فى سبيل الحصول على رقعة تغطى سوءته ، وتستر عورته ، وتدفع عنه رزايا الشتاء !

كان الأجدر بهذه الشرذمة الداعية إلى توحيد الزى أن تتجه اتجاها يمس الإصلاح الحقيق فى صميمه . وما أكثر نواحى الإصلاح التى يحتاجها البلد اليوم ويحن إليها ويهيم بها ، حتى لا تضيع جهودها سدى ، وتضيع أوقاتها فى غير جدوى ، وتتبخر همها فى خناء النقاش الممل ، والجدل المتعب . كان الأجدر بها أن تتجه نحو إصلاح القرية حتى تليق بسكنى الآدميين ، أو نحو إصلاح الفلاح حتى يليق بالآدمية التى أكرمها الله تبارك وتعالى ، أو نحو إصلاح العامل حتى يثمر الثمرة المرجوة فى العهد الجديد ، وكان الأجدر بها أن تتجه نحو إصلاح المجتمع فتهب له أوقاتها ، وتجود عليه بجهودها حتى ينهض فتنهض مصر بجانبه ، وحتى يسعد فيسعد الشعب فى ظلاله

لتذهب هذه الشرذمة إلى الريف لترى بأعينها من المآسى ما تشيب من أجلها النواصى ، ولتذهب إلى بلاد الصعيد لتقف بنفسها على الآلام التى تحطم الأعصاب وتهز القلوب ، لتذهب إلى القرى لترى كيف يعيش الفلاحون هناك فى حظائر تزاحمهم عليها مواشيهم ، وكيف يأكلون طعاما تزاحمهم عليه كلابهم ، وكيف يحيون بعد هذا حياة لا وزن لها إلا فى دنيا التعاسة والشقاء .. لتذهب هذه الشرذمة إلى أية جهة من هذه الجهات ، لتوقن بأن جهادها فى بدعتها هذه عبث ، وبأن أوقاتها فى سبيلها لهو ، وبأن حلتها لتحقيق هدفها ضرب من ضروب التسلية التى لا تليق بهذا الفجر الجديد

إن هذه المهزلة خلقت جوا من الجدل كنا فى غنى عنه ، فقد ولدت (القبعة) وجعلت منها مشكلة معضلة ، أثارت

مواكب التزمت والجمود الراكدة التي تعودت أن تتحرك في التوافه والسفاسف، لتثبت وجودها وتؤكد بقاءها في مسرح الحياة. ولو أنها ثارت باسم عقليتها وأفكارها لما ألقينا لها بالا ولا حسبنا لثرثرتها وضوضائها حسابا؛ لأن ثورتها مصيرها إلى التلاشي، وثرثرتها وضوضاءها مصيرها إلى التبخر، ولكنها تحرص على أن تثور باسم الإسلام، وكأن الإسلام آمن من كل جانب فهي تخشى عليه القبعة، وعزيز في كل ناحية فهي تخاف عليه انتشارها، ولو فقهت مواكب الجمود هذه لناقشت الهزلة قبل أن تعرض بالإسلام وتزج به، وتصوره للشرذمة الداعية إلى توحيد الزي كمنهج إصلاحي، بصورة مشوهة تجعل منه عقبة في سبيل كل إصلاح. فإذا كان توحيد الزي وسيلة من وسائل الإصلاح فالإسلام يؤيده ويؤازره ويباركه ويدعوله، لأن الإسلام لم يحتم على الناس زيا خاصا، ولا يتحكم في أزيائهم؛ بل يتركها لتطورات الزمن واختلاف البيئات، فقد كان الرسول صلوات الله عليه يلبس القميص والجبة والقباء والحلة والبردة وما إلى ذلك. وكان يلبس العمامة وتحتها القلنسوة، والقلنسوة بغير عمامة، والعمامة بغير قلنسوة، ولبس العمامة الخضراء والبيضاء والسوداء، ولبس الصوف والقطن والكتان، وكان هديه في هذا أن يلبس الإنسان ما تيسر له..

تثور مواكب الجمود على القبعة لأنها من أزياء الكفار.. ومن تشبه بقوم فهو منهم.. ولابد أنها لا تفقه أن رسول الله (ص) ارتدى «مستقة» — وهي نوع من الثياب — أهداها له ملك الروم، وأنه (ص) ارتدى «القباطي» وهي نوع من الثياب أيضا كان يصنعه أقباط مصر. فانظر كيف تؤول حديثه الشريف تأويلا فاسدا، وتفسره تفسيرا يتفق مع جمودها وجهلها وزمتها

والإسلام لا يعيب على المسلمين أن يتبعوا سنن من سبقهم إلى الإصلاح، ولكنه يعيب عليهم أن يقفوا إزاء الإصلاح موثوق الأكتاف، أو يقفوا في طريقه عقبة كأداء. والإسلام مرة أخرى لا يتحكم في الأزياء ولا يزج بنفسه فيها، لأن الأزياء مرتبطة بتطورات الزمن وأمزجة الشعوب، وهو أيسر من أن يعوق تطور الزمن، وأسمى من أن يحجر على أمزجة الشعوب

وبعد.. فنحن مضطرون إلى أن نهمس في آذان دعاة مهزلة توحيد الزي حتى يعلموا إلى أي واد هم مسوقون. وليدركوا أن العهد الذي كان يشجع إشغال الرأي العام بسفاسف الأمور قد انقرض إلى غير رجعة، وأن الوعي الجديد لن يسمح بعد اليوم بأن يستغل استغلالا سيئا يشينه ويشين البلد معه، وخير لها أن تعلو بهمتها إلى ما يفيد الوطن والمجتمع، من أن تبعثر جهودها لتتلاشى في مهب الريح؛ ومضطرون أيضا إلى أن نهمس في آذان مواكب الجمود حتى تفيق من جمودها، وتعلم أن الإسلام ليس سلعة رخيصة تلقى بها في كل سوق، وليس مطية هينة تحترف فوقها الدجل والشعوذة، وتصطنع الجدل والثرثرة؛ لأن الإسلام أكرم على الله وعلى المسلمين من أن يكون شيئا من هذا أو ذاك

وخير للاسلام أن يرسم خطط الإصلاح، ويضع أسس النهضة، ويشرع نظم الاستقرار، من أن يزج به في توافه الأمور وصغائرها!

محمد عبد الله السمان

٢ – على هامش الدفاع عن الشرق الأوسط

للدكتور عمر حليق

سياسة توازن القوى

تشهد السياسة الدولية اليوم بعثاً جديداً لمبدإ «توازن القوى» وهو مبدأ دبلوماسي قديم اتبعته الدول الكبرى في القرن الثامن عشر وحققت به فترة هدوء نسبي في العلاقات الدولية تختلف عن الفترة التي مر بها القرن العشرون بحروبه وثوراته ومشاكله المريعة التي تفوق حروب القرون السالفة ومشاكلها في العدد والخطورة

ومبدأ « توازن القوى » كان ولا يزال علماً على أسوإ ما في الدبلوماسية الدولية من قساوة وانتهازية . فني ظل هذا المبدإ استطاعت الدول الكبرى في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أن تتقاسم النفوذ وأن توطد لنفسها فترة هدوء نسبي ساعدها على إخضاع الشعوب المستضعفة في آسيا وإفريقيا وأميركا الجنوبية واستغلالها استغلالاً سياسياً واقتصادياً الاستعمار علم عليه

ويبدو أن موجات التحرر والانطلاق التي جاءت نتيجة لازدياد الوعي السياسي والفكري الذي اجتاح العالم في أوائل القرن العشرين — هذه الموجات استطاعت أن تزعزع أركان مبدإ « توازن القوى » وأن تفصم عرى هذا التواطؤ الذي هيمن على سياسة الدول الكبرى التي كانت تتكتل في مجموعات سياسية وعسكرية لتقتسم النفوذ في الميدان الدولي وتظل كل كتلة رقيبة على مطامع الأخرى لئلا يضيع على أي منها جزء من هذا النفوذ سواء في الدبلوماسية الدولية أم في مجال الاستعمار والتوسع الاقتصادي

ولما وقعت الواقعة وانفكت عرى هذا التكتل وخرجت روسيا القيصرية والإمبراطورية الإسبانية من ميدان التنافس واختل ميزان القوى الدولية بين الدول الكبرى وطمحت ألمانيا القيصرية أولا والهتلرية بعد ذلك لأن تنافس الكتلة الإنجلو فرنسية في مجال السيادة الدبلوماسية على العالم الحر وعلى العالم المستعبد ؛ أخذت العلاقات الدولية تمر في طور السياسة الانفرادية التي تحاول فيها كل دولة أن تحقق لنفسها أكبر قسط من النفوذ على حساب أي دولة أخرى ولو كانت هذه الدولة تشاركها الأهداف وتشاطرها مبدأ الاستعمار وتجاريها في السلوك التجاري والأيديولوجية السياسية

وفي الفترتين اللتين حاولت فيهما الكتلة — الإنجلو فرنسية أن تقضي على النفوذ الألماني كانت عوامل الشقاق بين الإنكليز والفرنسيين تلعب دوراً هاماً في توجيه السياسة العالمية . وقد برز هذا الشرق في أعقاب الحرب العالمية على أشده في قضية سوريا ولبنان وفي مستقبل المستعمرات الإيطالية السابقة التي كانت سياسة بريطانيا إزاءها تختلف إلى حد بعيد عن سياسة الفرنسيين

ولما أن دخل الاتحاد السوفييتي دخول العملاق إلى المجتمع الدولي في أعقاب الحرب العالمية الأخيرة أخذت العلاقات الدولية تمر في طور جديد كان مشجعاً على إحياء مبدإ سياسة توازن القوى وبعثها من جديد . فالأيديولوجية السوفييتية وإن كانت لا تنص على مبدإ توازن القوى إلا أنها تحتوي على مبادئ أبعد من هذا المبدإ — مبادئ تؤكد بأن لا مجال للوطن الشيوعي الأم (وهو الاتحاد السوفييتي) إذا أراد أن يعيش سالماً معززاً إلا إذا تم تحويل العالم بأسره إلى النظام الشيوعي

ومهما حاولنا أن نعلل الأسباب الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية التي دعت إلى ازدياد التوتر بين روسيا السوفييتية وحلفاء الغرب في عالم ما بعد الحرب العالمية الأخيرة فلا سبيل إلى الإنكار بأن مبدأ التوسع الشيوعي يستند إلى هذه النقطة الجوهرية في تعاليم ماركس وشرح لينين وستالين عليها — هذه النقطة هي ضمان السلامة والاستقرار للاتحاد السوفييتي بتوطيد الشيوعية في العالم بأسره على أن يتم ذلك بالتدريج . وفعلا لم يجد الاتحاد السوفييتي صعوبة في السعي لتحويل المناطق الجغرافية المجاورة له إلى حصون شيوعية كما تشهد بذلك مجموعة الدول الشيوعية في شرق أوربا وفي البلقان وفي الشرق الأقصى (في الصين وكوريا الشمالية ومنغوليا والتبت) . وبذلك استطاع الاتحاد السوفييتي إيجاد

كتلة سياسية شديدة البأس والحول لا يواجهها فى المجتمع الدولى كتلة مماثلة فى القوة والنفوذ

وكانت هذه الوضعية فى حد ذاتها بعثا لمبدأ « توازن القوى » الذى أغرم به ساسة القرنين الثامن والتاسع عشر — وسواء جاء ميلاد هذه الكتلة الشيوعية الجديدة عفوا أم كان أمرا مدبرا فالذى يعنينا منه أنه استدعى ميلاد كتلة دولية قوية الدعائم شديدة الحول لها فى ميزان القوى العالمية اعتبار هام

وهنا يجب أن نستذكر بأن العائلة الدولية فى المراحل النهائية فى الحرب العالمية الأخيرة وجدت نفسها موجوعة الضمير مثخنة الجراح مثقلة بالأعباء الإنسانية والاقتصادية والسياسية والمشاكل العاطفية والفكرية التى تعترى المجتمع الإنسانى فى أعقاب الحروب الكبرى . ولذلك ساد تفكير صناع السياسة والحرب فى الدول الكبرى والصغرى على السواء اتجاه جديد يحاول أن يوطد دعائم السلم فى عالم ما بعد الحرب الثانية على أساس التكتل الجماعى — تكتلا حاولت عصبة الأمم المتحدة أن تحققه فى عالم مابعد الحرب الأولى إلا أنها فشلت، وذلك لأن أفكار الدول وقلوبها لم تكن مهيأة بعد لهذه التجربة فى العمل المشترك والثقة المتبادلة فى تنسيق العلاقات الدولية على أساس الضمان المشترك وتسيير دفة الشؤون العالمية على بوصلة القانون الدولى كما عبر عنه دستور عصبة الأمم المنحلة ولوائح أعمالها الداخلية

وقال الناس إن ويلات الحرب العالمية الأخيرة ومشاكلها كانت أعظم وأعقد من الذيول التى جاءت فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وإن هذه الويلات والمشاكل تقتضى إعادة التجربة التى فشلت فى عصبة الأمم المنحلة . ومن ثم ولدت فكرة هيئة الأمم المتحدة ووضع ميثاقها ولوائحها الداخلية على أساس جديد حاول أن يتفادى العقبات التى كانت تعترض دستور عصبة الأمم المنحلة وإجراءاتها الداخلية

ولقد كثر الحديث فى الآونة الأخيرة عن القصور الذى صاحب أعمال الأمم المتحدة فى المجال السياسى وعن المساوئ التى نجت عن نشاطها مساوئ أصاب العرب منها طرف خطير فى مأساة فلسطين، ولكن هذه المساوئ لم تقض قضاء مبرما على مكانة الأمم المتحدة فى العلاقات الدولية ، ولا تزال لهذه الهيئة أهمية قصوى فى تسيير الشؤون الدولية خيرا أم شرا . والمهم أن لا نحكم على هيئة الأمم المتحدة بصلاح البقاء أم بعدمه . . إنما المهم أن ندرك نواحى الضعف فى الدوافع التى تستند هذه الهيئة إليها

ويطيب لى فى هذه المرحلة من البحث أن أستنجد بطبيب اجتماعى كبير جمع بين الثقافتين الشيوعية والغربية واستطاع أن يعالج السياسة الدولية من زاوية فريدة فى هدوء العالم وثمته وترفعه عن الدجل والتهريج . هذا العالم هو البرفسور برميتيف سوروكون [1] أحد أقطاب الحركة السوفييتية سابقا ورئيس دائرة العلوم الاجتماعية الآن فى جامعة هارفارد كبرى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية

قال البرفسور سوروكن — يجب أن لا ننظر إلى الأمم المتحدة كمحكمة عليا للقانون الدولى ، وهى نظرة يخطئ كثير من الناس فى اللجوء إليها عند معالجة أعمال الأمم المتحدة وما ينتج عنها من ذيول . فلا ميثاق الأمم المتحدة ولا الدول الأعضاء تعتبر هيئة الأمم محكمة استئناف للعلاقات الدولية وذلك إلى حد ما من اختصاص محكمة العدل العليا فى لاهاى

إنما هيئة الأمم حلقة للدبلوماسية المفتوحة وهى نمط جديد للمفاوضات الدولية التى كانت فى الماضى تجرى بعيدة عن رقابة الصحفيين وعدسات المصورين وأشرطة السينما وعيون الزوار فى قاعات الاجتماع . ومع أن هيئة الأمم لا تقيد الدول الأعضاء بقراراتها وتوصياتها إلا أن فى القصور عن تنفيذ هذه التوصيات والقرارات مسئولية أدبية تؤثر خيرا أو شرا فى انطباقات الرأى العام العالمى عن سلوك الدول الأعضاء وأهمية ذلك فى تقرير سمعتها

(١) يعتبر برميتيف سوروكن من أقطاب الفكر الاجتماعى المعاصر . وهو روسى المولد عالى الثقافة . اشتغل بالتدريس فى جامعات روسيا القيصرية ثم التحق بالحزب الشيوعى وتوصل الى مكانة سياسية بارزة فى العهد السوفييتى فكان أبرز أعوان كارينسكى رئيس وزراء روسيا السوفييتية قبل رئاسة ستالين وعضوا فى البرلمان السوفييتى ثم انشق على الشيوعيين الروس لاختلافه فى تفسير الماركسية مع ستالين وحكم عليه بالإعدام ولم ينقذه سوى تلاميذه العديدين ومن بينهم عدد من كبار القوم فى العهد الشيوعى فأبعد عن روسيا القيصرية وجاء الى الولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٢٣ واشتغل بالتدريس وبرز اسمه كأحد دعائم علم الاجتماع المعاصر . وهو يتولى الآن رئاسة دائرة العلوم الاجتماعية فى جامعة هارفارد الأمريكية الشهيرة . وله ما الى ٥٠ مؤلف كتبها فى مختلف اللغات التى يجيدها إجادة تامة

الدولية على أساس هذا السلوك وما يستتبع ذلك من علو أو انخفاض فى المكانة المالية للدول وأثر ذلك على نفوذها فى السياسة الدولية وثقة الناس بها فى المعدات الدولية والاتفاقيات التجارية وما إلى ذلك من أوجه النشاط الدولى . ففنلندة مثلا بلد ضعيف الحول لا قيمة له من حيث الأهمية السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية . إلا أنه بلد عرف بتقيده بالالتزامات الدولية (سواء داخل المؤسسات المالية أم خارجها) وترتب عن ذلك أن حظيت فنلندة بسمعة رفيعة فى المجتمع الدولى أكسبها مكانة فريدة فى الجو السياسى من حيث أنها استطاعت أن تحفظ رأسها عاليا فوق الماء رغم أن التيارات القوية تهب عليه من كل طرف - من جارها الاتحاد السوفييتى ومن مغريات مشروع مارشال ودول حلف الأطلنطى ووضعية السياسة الأوروبية والدولية إجمالا . وقد نتج كذلك عن السمعة التى تحظى بها فنلنده أن استطاعت ضمان التبادل التجارى القديم مع الشرق والغرب فى فترة تتوتر فيها العلاقات التجارية توترا شديدا

ولكن هيئة الأمم المتحدة قصرت حتى فى أن تحتفظ بهذه الناحية من أهميتها الدولية — هذه الناحية هى اعتبار جزء كبير من الرأى العام العالمى أن الأمم المتحدة هى «المحكمة العليا للضمير الإنسانى »

فهيئة الأمم مؤلفة من مندوبين يمثلون دولا . وهذا التمثيل يفرض على المندوب أن لا يقيس قضية من القضايا بضميره الخاص أو باجتهاده الشخصى ، وإنما عليه أن يتقيد باعتبارات قومية محضة تفرضها عليه المقومات السياسية والاقتصادية والعاطفية وأسس السلوك السياسى الذى تتميز به الدول على بعضها . وهذه الاعتبارات إما أن تكون إطاراً فكريا يستمد منه المندوب الوحى على معالجة قضية من القضايا فى حظيرة الأمم المتحدة بالنفى أم بالإيجاب أم بالامتناع عن التصويت ، وإما أن تكون فى شكل تعليمات ترسلها إليه حكومته فى ساعات الفصل وتقيده بشكل قد يوافق ضميره واجتهاده وقد لا يوافق . ويجب أن لا تفسر هذه الإشارة على أنها حط من خلق المندوبين أو انتقاد لأشخاصهم . فالواقع أن من الصعب إن لم يكن من المستحيل على المندوب أن يفرض شخصيته الفردية على الطابع السياسى الذى يلائمه ويهيمن عليه بوصفه ممثلا لحكومة سلوكها السياسى مقيد بعوامل عديدة ومعقدة، وعقدها ناجمة عن شذوذ السياسة وتطور الأوضاع وتسيار الحوادث

ولما كان جوهر السلوك فى حظيرة الأمم المتحدة على ما هو عليه من التعقد والتناقض فقد كان من الطبيعى أن يتطاحن فى هذا السلوك اتجاهان :

أحدهما يتوخى التقيد بميثاق الأمم المتحدة والمبادئ والأهداف القويمة التى يخدمها ويجعل بذلك هيئة الأمم «محكمة عليا للضمير الإنسانى » . والآخر سعى الدول الأعضاء لتوجيه الأمم المتحدة توجيها يتمشى مع المصلحة الفردية لكل دولة — أو لمجموعة من الدول تتوافق وتتناسق فيها هذه المصالح . وقد ساد الاتجاه الأول فى مستهل عهد الأمم المتحدة فساد «الضمير الإنسانى » فى قضية سوريا ولبنان وفى سعى الاتحاد السوفييتى لقلب الحكم فى إيران بتحويل القطاع الشمالى فى أذربيجان الإيرانية إلى دولة منفصلة عن الدولة الإيرانية المركزية

وما لبث الاتجاه الثانى أن أثبت وجوده قويا فعالا فطوح «بالضمير الإنسانى » وتكتلت الدول ذوات المصالح المشتركة وباع بعض المندوبين والدول الذين يمثلونها ضمائرهم فاتخذوا من القرارات ما يخالف أبسط مبادئ العدالة و «الضمير الإنسانى » كما تشهد بذلك مأساة فلسطين

ولا يزال هذا الاتجاه الثانى سائدا إلى الآن — بعد أن مر فى مرحلة هامة جعلت القول الفصل للكتل الدولية لا للدول الأفراد — وهذا التكتل هو فى الواقع بعث لمبدإ «توازن القوى » الذى أشرنا إليه فى مستهل هذا البحث

فلا غرابة إذن أن يصرح المستر إيدن وزير خارجية بريطانيا فى افتتاح الدورة الثانية لمجلس الحلف الأطلنطى . «أن الدول الغربية لم تكن راغبة فى الاندفاع فى التسلح (بعد الحرب العالمية الأخيرة) إلا بعد أن اضطرت إلى ذلك لتحفظ ميزان القوى فى حاضر العالم[٢] »

(٢) من خطاب المستر إيدن فى دورة مجلس الحلف الأطلنطى الثانية المنعقدة فى روما بتاريخ ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥١ من محضر جلسات الدورة

توازن القوى فى هيئة الأمم

جوهر ميثاق الأمم المتحدة هو ضمان التعاون الدولى لصيانة السلم وهو بمعنى آخر اللجوء إلى مبدإ الدفاع المشترك ضد من وما يخل بأمن العالم وسلامته ، فهذا الجوهر إذن على طرف النقيض مع مبدإ « توازن القوى » وقد وجدنا كيف اندفعت الوفود فى هيئة الأمم فى اتجاه التكتل ومعالجة المشاكل والقضايا وصياغة التوصيات والقرارات على ضوء المصلحة المشتركة للدول التكتلة

وكان من الطبيعى أن يزداد التوتر بين الكتل السياسية داخل هيئة الأمم عا كما بذلك تسيار الحوادث والمشاكل وازدياد التوتر بين المعسكرات السياسية المتطاحنة خارج حظيرة الأمم المتحدة

ولا تسألن من هو اللوم عن ميلاد هذا التوتر — هل هو سوءنية الرأسمالية الأمريكية إزاء الدعوة الشيوعية أم هو طبيعة تعاليم الماركسية وسعيها من وراء الستار — عن طريق الجماعات الشيوعية المنظمة فى كل بلد، فقد تفاعلت فى تسيار العلاقات الدولية فى سنوات مابعد الحرب عوامل عديدة أدت إلى نمو سياسة التكتل داخل هيئة الأمم

ووجد كلا الطرفين فى مستهل عهد الأمم المتحدة أن لهذا التكتل أثمانا وشروطا لا تتوفر فى بعض الحالات الهامة . فهيئة الأمم ليست منظمة رأسمالية ولا هى مؤسسة شيوعية . ورغم أن القول الفصل فى أعمالها ونشاطها مقيد باتجاهات الدول الكبرى صاحبة القول الفصل وحق النقض (الفيتو) فى مجلس الأمن ؛ إلا أن للدول الصغرى أكثرية عددية كفيلة بأن تماكس (الفيتو) وتشاكس الدول الكبرى فى نفوذها فى صياغة القرارات ووضع التوصيات وفى التصويت عليها

وحاضر السلوك السياسى اليوم فى هيئة الأمم المتحدة يشهد بأن الحالات التى استطاعت فيها الدول أن تظفر بأكثرية الأصوات على مشروع من المشروعات أو قرار من القرارات..هذه الحالات جاءت نتيجة لمساومة مستمرة مع وفود الدول الصغرى — إما فى أروقة هيئة الأمم أوعن طريق البعثات الدبلوماسية فى عواصم الدول وعروشها

ولما كان للكتلة الأنجلوسكسونية نفوذ تقليدى دبلوماسى واقتصادى ، فى كثير من عواصم العالم — نفوذ يفوق نفوذ الاتحاد السوفييتى — فقد كان من التوقع أن ترجح كفته الكتلة الأنجلوسكسونية على الكتلة السوفييتية

وحشرت الوفود الشيوعية فى ركن ضيق من أركان هيئة الأمم فازداد صراخها واشتد وعيدها وأخذت تمد المدة لمواجهة الموقف بوسائل جديدة بعضها ينفذ داخل هيئة الأمم والبعض الآخر خارجها

ونشطت موسكو فأعادت فى عام ١٩٤٧ تأسيس قيادة الحركة الشيوعية العالمية (الكومنترن) بعد أن كان قد وضع على الرف مؤقتا فى سنوات الحرب العالمية الأخيرة ووضعت لهذه القيادة خططا جديدة وأطلق عليها كذلك اسم جديد هو (الكومنفورم) ووجهت موسكو نشاطها توجيها عمليا ، والنقلية الشيوعية عملية إلى أبعد حد ، فعززت روسيا سيطرتها على شرق أوروبا ودبرت انقلابا سياسيا ناجحا فى تشيكوسلوفاكيا وأولت الميدان الصينى اعتبارا خاصا حتى تحقق للشيوعيين الصينيين السيطرة على هذه القارة الصينية الواسعة الأرجاء

وفى حين أن الكتلة السوفييتية فى هيئة الأمم كانت ولا تزال ضعيفة الحول بالمقارنة إلى الكتلة الأنجلوسكسونية أصبحت موسكو بعد انقلاب تشيكوسلوفاكيا وتوطيد النظام الشيوعى فى الصين زعيمة لكتلة تتساوى فى القوة والنفوذ العالمى مع الكتلة التى تتزعمها واشنطون

ومرة أخرى عاد ميزان القوى الدولية إلى نوع من التعادل وأخذت أكثر الدول الصغرى فى آسيا وإفريقيا تعاند شيئا فشيئا فى الانسياق مع الكتلة الأنجلوسكسونية ومجاراتها فى القرارات والتوصيات الخاصة ببعض القضايا الخطرة التى تشغل بها هيئة الأمم وأصبحت المساومة مع الدول الآسيوية فى هيئة الأمم أشد صعوبة مما كانت عليه فى السابق وساد تفكير هذه الدول اتجاه «الحياد»

(الكلام صلة) نيويورك عمر حليق

٢ ـ الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

الجزور :

١ — إذا كان للميسر موضوع كما يقولون ، فهو «الجزور» . والجزور يقع على الذكر والأنثى من الإبل ، ولكنهم أكثر ما ينحرون النوق [1]

٢ — وليست كل ناقة ولا كل بعير بصالح للميسر ، وإنما كانوا يتخيرون أسمنها وأنفسها وأعزها عليهم ، فكأنما ألهموا من وراء الغيب « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » . وفي ذلك قول لبيد :

وجزور أيسار دعوت لحتفها بمغالق متشابه أجسامها
أدعو بهن لعاقر أو مطفل بذلت لجيران الجميع لحامها

يقول : رب جزور تصلح لتقامر الأيسار عليها دعوت ندمائي لنحرها بتلك المغالق المتشابهة ، وهي سهام الميسر يشبه بعضها بعضاً . وأراد بها هنا سهام القرعة يقرع بها بين إبله أيها ينحر لندمائه . فهو يدعو بتلك السهام لنحر ناقة عاقر أو أخرى مطفل . وإنما ذكر « العاقر » لأنها أسمن وأحمل للشحم ، و « المطفل » لنفاستها عليهم وعزتها [2]

٣ — وكان إذا أرادوا أن ييسروا ابتاعوا ناقة بثمن مسمى يضمنونه لصاحبها ، ولم يدفعوا ذلك الثمن حتى يضربوا بالقداح عليها فيعلموا على من يجب الثمن [3]

وسيأتي فيما بعد أن الثمن يدفعه من خابت سهامهم متضامنين في ذلك بحسب أنصبتهم لو فازوا

٤ — وكانوا قبل أن يضربوا بالقداح يجعلون بينهم عدلا يأخذ من كل امرئ منهم رهنا بما يلزمه من نصيب قدحه إن خاب ، مقدرا كل الاحتمالات التي يتعرض لها القارمون ، ويسمون هذا العمل « التأريب » ، وهو التشديد في الخطر [4]

وأحيانا يتغالى الياسرون فيجعلون مكان أعشار الناقة أعدادا من الإبل ، كأن يجعلوا موضوع الميسر عشراً من النوق لا ناقة واحدة يقسمونها عشرة أجزاء . وكذلك إذا أرادوا أن يضربوا على أكثر من هذا العدد جعلوا مكان العشر من أعشار الجزور بعيرين ، ومكان عشرين أربعة ، ومكان ثلاثة الأعشار ستة ، فإن زادوا على ذلك فعلى هذا السبيل [5]

٦ — وهناك ميسر آخر غريب ، ذكره طائفة من العلماء ، وهو أن يكون موضوع الميسر إنسانا . وقد أنشدوا في ذلك قول سحيم بن وثيل الرياحي :

أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ألم تعلموا أني ابن فارس زهدم

أي ألم تعلموا أني ابن صاحب الفرس المسمى « زهدم »

قال صاحب اللسان [6] : « كان قد وقع عليه سباء فضرب عليه بالسهام . وقوله : ييسرونني ، هو من الميسر ، أي يجزئونني ويقتسمونني »

وهذا تفسير ساذج ، ومن الصعب أن يتصوره عاقل إلا أن يريدوا اقتسام رقه وعبوديته فيما بينهم ، كما يكون العبد ملكا لعدة أشخاص يملك كل منهم شقصا منه . ونجد ابن سيده [7] يفسر البيت تفسيرا أشنع من تفسير صاحب اللسان إذ يقول : « ويسرونني من الميسر ، أي يجتزرونني ويقتسمونني » وهو لا ريب تفسير خاطئ

وقد فسره ابن قتيبة [8] تفسيرا عاقلا بقوله : « فمن روى : ييسرونني ، أراد : يقتسمونني ويجعلونني أجزاء ، أحسبه أراد فداءه ، لأنهم إذا أخذوا فداءه قسموه فكأنهم اقتسموا نفسه . ومن رواه يأسرونني جعله من الأسر »

الجزار

ويسمونه « القدار » ، على وزن همام . ولذلك القدار خبرة

(١) اللسان (جزر ٢٠١)
(٢) بلوغ الأرب (٣ : ٥٤ — ٥٥)
(٣) الميسر والقداح ٦١٧
(٤) الميسر والقداح ١٤٦ — ١٤٧
(٥) الميسر والقداح ١٢٣ ، ١٢٧
(٦) اللسان (يسر)
(٧) المخصص (١٢ : ٢٠)
(٨) في الميسر والقداح ٣٤

خاصة بتقسيم الجزور ، فهو يقسمها عشرة أقسام :

فإحدى الوركين جزء ، والورك الأخرى جزء [٩] ، والعجز جزء ، والكاهل جزء ، والزور — وهو ما ارتفع من الصدر إلى الكتفين جزء ، والملحاء — وهو وسط الظهر بين الكاهل والعجز — جزء ، والكتفان جزء ، والذراعان جزء ، وإحدى الفخذين جزء ، والأخرى جزء

ويبقى بعد ذلك « الطفاطف » ، وهى أطراف الجنب المتصلة بالأضلاع ، و « فقر الرقبة » ، فتقسم وتفرق على تلك الأجزاء بالسواء ، فإن بقى عظم أو نصفه بعد القسم فذلك الريم ، وكانوا يجعلون ذلك الريم للجازر ، فإن بخلوا به ولم يجعلوه له كان ذلك مسبة لمن لم يجعله

وأما نصيب بائع الناقة فهو الأطراف والرأس غالبا

وذهب الأصمعى فى ذلك مذهبا غريبا ، أنهم كانوا يجزئون الجزور على ثمانية وعشرين جزءا ، ذهب فى ذلك إلى حظوظ القداح ، وهى ثمانية وعشرون ، للفذ حظ ، وللتوأم حظان ، وللرقيب ثلاثة ، وللحلس أربعة ، وللنافس خمسة ، وللمسبل ستة ، وللمعلى سبعة ، فجميع هذه ثمانية وعشرون

قال ابن قتيبة [١٠] : « ولو كان الأمر على ما قال الأصمعى لم يكن هنا قامر ولا مقمور ، ولا فوز ولا خيبة ، لأنه إذا خرج لكل امرئ قدح من هذه فأخذ حظ القدح أخذوا جميعا تلك الأجزاء على ما اختار كل واحد منهم لنفسه ، فما معنى إجالة القداح ؟ وأين الفوز والغرم ؟ ومن القامر والمقمور ؟ »

عدد الأيسار

والأيسار : المتقامرون ، واحدهم « يسر » بالتحريك

وكان الحد الأقصى للأيسار أن يكون سبعة ، على عدد قداح الميسر ، لا يتجاوز عددهم ذلك ، وليس لهم حد أدنى يقفون عنده . فإذا كان عددهم سبعة قالوا : قد توحدت القداح ، أى أخذ كل رجل قدحا ، وإنما يكون ذلك فى المجاعات الشديدة وغلاء اللحم ، فيحتاج الأمر فى التكافل إلى هذا العدد الكبير

وإذا نقص عدد الأيسار عن السبعة فلا بد أن ينبرى واحد منهم أو أكثر ويأخذ أكثر من قدح واحد ويتأهب للمغامرة ، ويسمون ذلك الآخذ « متمم الأيسار » . وهم يعدون ذلك التتميم مفخرة وفضيلة . قال النابغة :

أنى أتمم أيسارى وأمنحهم ... مثنى الأيادى وأكسو الجفنة الأدما [١١]

قداح الميسر

١ — يقال للواحد من قداح الميسر قدح ، بالكسر ، وسهم وزلم ، وقلم . وأكثرها استعمالا فى ذلك هو « القدح »

٢ — والقداح : عيدان تتخذ من النبع ، وهو شجر تصنع منه القسى والسهام ، ينبت فى قلة الجبل ، معروف بالمتانة واللين

٣ — تنحت هذه العيدان وتملس وتجعل سواء فى الطول ، وإنما تختلف فى العلامات والوسوم

٤ — وهى صغيرة القدر ، قال ابن قتيبة : « وتسميتهم لها بالحظاء دليل على أنها كصغار النبل »

٥ — ولهذه القداح رأس صغير ، قال ابن قتيبة : « ووجدت الشعر يدل على أن له رأسا أحسبه ناقصا عن مقدار جسمه ، حديد الطرف » ، واستشهد لذلك بقول الراعى :

بدا عائدا صملا ينوء بصدره ... إلى الفوز من كف الفيض المورب

والصمل : الصغير الرأس ، ولذلك قيل للظليم ، وهو الذكر من النعام : « وصمل » ، لدقة رأسه

٦ — ولونه أصفر ، لأنه من نبع وماشا كله ، ولأنه أيضا قد يقدم فيصفر كما تصفر القوس العتيقة

٧ — ويصفونه بالاعوجاج والأود ، دلالة على كرم عوده ولينه

٨ — وكثيرا ما يكون ذا سفاسق ، أى طرائق وخطوطا مستقيمة أو منحنية تكون فى لون العود ، كما تكون فى الخلنج دأعواد السروج وأشباه ذلك

٩ — وهو مدور أملس كالسهم

١٠ — ويصفونه بالحنين والرنين إذا ضرب به ، وذلك لرزانته وسلامة عوده من القوادح والسوس ، فإذا ضرب به حن

(٩) الوركان ما فوق الفخذين كالكتفين فوق العضدين
(١٠) الميسر والقداح ١٢٠ . وانظر أيضا تفسير أبى حيان (٢ : ١٥٥)

(١١) هذا صواب انشاد البيت بفتح همزة « أنى » ، ومن رواه بكسرها فقد أخطأ الصواب . وذلك لأن قبله كما فى ديوان النابغة ٢ : :
ينبئك ذو عرضهم عنى وعالمهم ... وليس جاهل شئ مثل من علما

ورن كما يطن الصفر والحديد

هـذا ما أمكن الإمام ابن قتيبة أن يستخرجه من الشعر العربي لينقل إلينا ذلك الوصف الدقيق لقداح الميسر

عدد القداح وأسماؤها

هذه القداح التي مضى وصفها في الفصل السابق ليست كلها على نمط واحد ، بل هي نوعان :

النوع الأول : القداح ذوات الحظ ، وعددها سبعة ، وهذا العدد يقابل الحد الأقصى لعدد المتقامرين

النوع الثاني : القداح التي لا حظ لها ، وعددها ثلاثة

قداح الحظ

١ — الفذ ، وله حظ واحد

٢ — التوأم ، وله حظان اثنان

٣ — الرقيب ، وله ثلاثة حظوظ

٤ — الحلس ، وله أربعة حظوظ

٥ — النافس ، وله خمسة حظوظ

٦ — المسبل ، ويسمى أيضاً المصفح ، وله ستة حظوظ

٧ — المعلى ، وله سبعة حظوظ

وهذه السهام السبعة متشابهة الأجسام ، لا يمتاز بعضها عن بعض إلا بعدد الفروض ، أي الحزوز التي تحز فيها لتبين قدرها . فللفذ حز واحد ، وللتوأم حزان اثنان ، وللرقيب ثلاثة .. وهكذا

وربما كانت هذه العلامات بالنار ، يسمونها بالوسم والوسمين والوسوم ، بدلا من تلك الحزوز [12]

وقد نظم أبو الحسن علي بن محمد الهمداني أسماء سهام الحظ في قوله [13] :

لي الفذ منهـا توأم ثم بعده رقيب وحلس بعده ثم نافس
ومسبلها ثم المعلى فهـذه الـ ـسهام التي دارت عليها المجالس

وأنشد الراغب الأصفهاني [14] أبياتا نسبها لعروة بن الورد ، يذكر فيها أسماء القداح الفائزة ، وأراها من مصنوع الشعر ومولده ، وهي :

أنت بالمعلى عند أول سـورة وبالمسبل التالي وبالحلس والتوم [15]
وجاءت بفذ والضريب يليهمـا وبالنافس المعلوب في الرأس والقدم [16]
فراح بها غنم وتغرم ما جنت وقد يغرم المرء الكريم إذا اجترم
وأنت منيح باليدين متى تمد تمد صاغراً لا مال نال ولا غرم

وهذه الأبيات المهلهلة لم ترد في ديوان عروة ، وليست من شعره بسبب ، وهي أشبه ما يكون بشعر ابن مالك في ألفية النحو ، أو بشعر أبي الحسن علي بن محمد الهمداني الذي سبق الإنشاد له ، كما أن ما فيها من الخطأ الفني ينطق ببطلان نسبتها إليه ، فإن هذه القداح لا يمكن أن تخرج جميعا في ميسر واحد ، كما سيأتي القول عن الكلام على (مجلس الميسر)

وكان العرب في بعض الأحايين يستعيرون قدحا ميمونا ، أي قدح كان من السبعة ذوات الحظوظ ، قد جرب من قبل فوجد سريع الخروج في الميسر ، يستعيرونه من غيرهم ويجعلونه في قداحهم بدلا من آخر مثله ، تيمنا به وبما يجلبه من الظفر ، ويسمون ذلك القدح « المنيح [17] » ، وهو غير المنيح الذي سيأتي ذكره في القداح التي لا حظ لها

وكانوا يأخذون من هذه القداح على قدر احتمالهم ، فأقلهم حالا هو آخذ « الفذ » ، لأنه إن ربح غنم حظا واحدا وإن خاب غرم حظا ، ويليه في القدرة آخذ « التوأم » ، إن فاز فاز بحظين ، وإن خاب غرم حظين ، وأقدرهم وأعلاهم شرفا هو صاحب « المعلى » لأنه إن خاب غرم سبعة حظوظ فاحتملها

القداح التي لا حظ لها

وهناك قداح لا حظ لها ، وهي بحجم قداح الحظ ، ولكنها مجردة من السمات والعلامات ، تجعل مع قداح الحظ ليكثر بها العدد ، ولتؤمن بها حيلة الضارب فتختلط عليه فلا يجد إلى الميل

(١٢) الميسر والقداح ٧٠

(١٣) بلوغ الأرب (٣ : ٥٨)

(١٤) محاضرات الراغب (١ : ٢٤٤)

(١٥) أراد « التوأم » . وهو القدح الثاني من قداح الميسر

(١٦) المعلوب : الذي به العلب . وهو الحز وأثر الضرب . والجمع علوب

(١٧) الميسر والقداح

مع أحد سبيلا ، وليكون ذلك أنفى للتهمة وأبعد من المحاباة [١٨]

وتسمى هذه القداح «الأغفال» : جمع غفل ، بالضم ، وأصله فى الدواب مالا سمة له ، ومن الأرضين مالا علم فيها

وهذه القداح ثلاثة فى أصح الأقوال :

١ — الوغـد
٢ — السفيح
٣ — المنيح

وقد نظم أسماءها بعضهم فى قوله [١٩] :

لى فى الدنيا سهام ليس فيهن ربيح
وأساميهن وغد وسفيح ومنيح

وقيل : وهذا قول شاذ — : إن عددها أربعة [٢٠] :

١ — المصدر
٢ — المضعف
٣ — المنيح
٤ — السفيح

للبحث صلة

عبد السلام محمد هارون

(١٨) قال ابن قتيبة تعليقا على هذا : «وبلغنى أن المتقامرين بالنرد إذا أحسوا من الرجل إلمام النفس على الوجه الذى يريده بالرزق — وهو ما يسمى فى عصرنا هذا فى مصر بالفرص — أتوا مع الفصين فصا ثالثا أو فصين ليس عليها رقوم ، أو حصيات ، ليأمنوا الحيلة» فلأمر ما اتخذ العرب هذه القداح مع قداح الحظ

(١٩) الفخر الرازى (٢ : ٢٢٠)

(٢٠) تفسير أبى حيان (٢ : ١٥٤)

العزوف عن القراءة

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

سألنى « متألم » على صفحات الرسالة ، فقال إنه مدرس أديب يتذوق القراءة ، ويهوى الاطلاع ، ولكنه أصيب منذ عام بداء يقطع عليه سبيل هذه اللذة العقلية ، وهو « النوم » حين يشرع فى مطالعة كتاب أو صحيفة

وقد فرحت بهذا السؤال ، لأنى وجدت شخصا يحب القراءة ويجد فى الاطلاع لذة ، وقد طال العهد — فى الزمن السابق — عن كانوا يلتمسون اللذة فى المتع الرخيصة المبتذلة . ومقياس رقى الأمم أخذ أهلها بالأدب الرفيع ، والإقبال على ارتشاف العلم ، ودوام النظر فى صفحات الكتب ، والاستماع إلى حلقات الدرس والمحاضرة ، مما لم يكن معهودا فى العهد السابق ، أو مألوفا فى سياسة الملك السابق ، بل كان العهد عهد إسفاف ، تنتشر فيه الخلاعة والتهتك ، ويقبل الناس مع مليكهم على الإثم والفجور

وآية ذلك هذه الصحافة الصفراء التى كان همها أن تطلع على القراء بالسيرة المفضوحة ، وأخبار « الطبقة الراقية » فى حلبات الرقص وميادين السباق وموائد الميسر وعلى شواطئ البحار ، مع عرض صورهن فى ثياب تكشف عن الفتنة وتبتعد عن الحشمة . وأصبحت عناية الصحف والمجلات نشر الصور للممثلات وهن شبه عاريات ، وتسابقت جميعا فى هذا المضمار تنشد اجتذاب الشباب بالفتنة ، واستهواء الشيوخ بالخلاعة ، وتوجيه العواطف وجهة دنيئة ، والتلاعب بالغرائز الجنسية تبعثها وتثيرها من مكامنها . فأصبح القارئ العفيف كأنه راهب انقطع فى الصحراء ، أو سابح ضد تيار الماء

وكان التيار جارفا يحمل المجتمع نحو الأغلال والفساد ، ويبتعد به عن الجد والوقار . فإذا أخذ أحدنا بسبيل الجد والمثالية شعر كأنه غريب عن المجتمع الذى يعيش فيه . ولعل عزوف « المتألم » عن القراءة راجع إلى شعوره بالانفصال عن الجماعة حين يقبل على القراءة والاطلاع

قد يقول قائل : ولكن صاحب السؤال يحتاط للأمر ويقرر أنه يهوى القراءة ويشتاقها ويرغب فيها ، فكيف تزعم أنه غير راغب فيها ، وأن ميله إلى النوم دليل على عزوفه عنها ؟

ونقول فى الجواب عن هذا الاعتراض إن النفس الإنسانية أمرها شديد العجب ، فهى تبدى خلاف ما تبطن ، وتصدر عنها أفعال تباين ما يشعر به صاحبها . فهل نصدق الأعمال ونكذب الشاعر ، أو نصدق الشاعر ونكذب الأعمال ؟

واعلم أن اتجاه المحدثين فى علم النفس هو الأخذ « بالسلوك »

والأعمال الظاهرة ، وليس لهم شأن بما يجرى داخل النفس من ظواهر شعورية . وهناك مدرسة كبيرة على رأسها الأمريكان ، ويتبعها بعض العلماء فى أوربا ، تبحث فى علم النفس بغير الشعور . ونحن إلى هذا الاتجاه أميل ، فنقدم العمل ولا نقبل الشعور ، ونصدق السلوك ونفسر به النزعات الباطنة

وعلى هذا الأساس يسهل علينا تفسير هذه الظاهرة التى يذكرها صاحبنا ، فهو يمسك بالكتاب ولا يكاد يقرأ منه بضع صفحات حتى تأخذه سنة من النوم . هذا هو الواقع المشاهد الذى لا سبيل إلى إنكاره . فما العلة فى ذلك ؟

وسوف نبين العلة الصحيحة بعد أن نستبعد ما يذكره عن مشاعره الباطنة ، من أنه يتمتع بما يقرأ تمتعاً زائداً . فهذا الشعور غير صادق ، بل هو تمويه من النفس . فلا يستقيم أن تكون المتعة حقيقية ثم ينصرف عنها نائماً ، بل العكس هو الصحيح

والنوم عند القراءة دليل لا يخطئ على عدم الرغبة فيها . وقد يعبر الإنسان تعبيراً آخر يفصح عن هذا الصدوف ، كأن ينسى الوضع الذى ترك فيه الكتاب ، أو ينسى اسمه وموضوعه ، أو يجد فى عينيه تعباً ، وقد يصاب أحدنا بظهور « الذبابة الطائرة » وهى نقطة سوداء تعاكس الرؤيا ، وهذا إنذار بالتعب من القراءة ، وفى بعض الأحيان يصاب الشخص بعمى تام ، فلا يبصر شيئاً ، لا لعلة فى العين ، بل لشدة الإجهاد العقلى فى القراءة والرغبة اللاشعورية فى الابتعاد عنها

الحق أن القراءة ليست شيئاً فى طبيعة البشر ، فقد ركب الله العين فى الإنسان ليبصر بها الأشياء الخارجية فيعرفها فى المناظر من جمال هو الذى يبعث المتعة فى جوانب النفس

والأصل فى التفاهم بين الناس السمع لا البصر ، ولذلك قيل الإنسان حيوان ناطق . فالألفاظ التى يتألف منها الكلام تنتقل من الفم إلى الأذن ، ويتم عند ذلك الإدراك ويحصل العلم . حتى إذا أخذ الإنسان يتحضر عرف التدوين والكتابة ، وسجل الألفاظ المنطوقة فى رموز مكتوبة رسمها رسماً . واتسعت الكتابة مع الرقى ، وكثرت الكتب ، وأصبحت مرجع الناس فى تحصيل العلوم ، مع أن الأصل أن يستمد المرء العلم سماعاً ويتلقاه من أفواه العلماء . ولعلك عندئذ تعلم لماذا امتنع سقراط عن التدوين ، ولماذا كان يلقى دروسه إلقاء

الكتب — وقاك الله شرها — فيها منافع وفيها مضار . فمن منافعها أنها تلخص لك أفكار العلماء الذين أفنوا أعمارهم فى بلوغها فى حيز ضيق ، تستطيع أن تحصله فى ساعات قليلة . ومن منافعها أن العلم ينتقل إليك فى دارك فتطلع على آرائه وأنت مضطجع ، بدلاً من شد الرحال إليه . ومن منافعها أنها صديق تأنس إليه وقت الشدة فيفرج همك ويسرى عنك ويبعث فى نفسك المتعة حتى إذا سئمته ألقيته جانباً

ومن مضارها أنها كالجثة الهامدة لا حياة فيها ، لأن حياة الأفكار فى حياة قائلها ، ولذلك كان الاستماع إلى حديث العالم أمتع للنفس وأرسخ فى الذهن

ومن مضارها الذهاب بقوة البصر ، لأن التحديق فى الحروف السوداء المكتوبة ساعة بعد ساعة ، ويوماً بعد يوم ، وعاماً بعد عام ، يجهد العين ويضعفها

وكل قارئ تمر به فترات من الضيق فيسأم الاطلاع فى وجوه الكتب ، ويصدف عنها ، ولا علاج لذلك إلا تركها مدة من الزمن ، والترويح عن النفس بقراءة « كتاب الطبيعة » . وهذا شئ قل أن يفعله القراء فى الشرق ، نعنى الخروج إلى الحدائق العامة والتأمل فى مباهج الطبيعة . وكان عادة أرسطو أن يلقى دروسه فى بستان وهو يجوس خلال مماشيه ، ولذلك سمى أتباعه بالمشائين

* * *

فلا تتألم أيها السائل لأنك تنام عند القراءة ، واسترح قليلاً ، وخذ العلم من المجالس ومن أفواه العلماء ومن قراءة كتاب الطبيعة

أما النوم الذى تشكو منه ، فإن لم يكن لعلة جسمانية وضعف طارئ ، فهو رد فعل طبيعى لإرغام نفسك على ما لا تحب وتشتهى والابتعاد عن الأشياء غير المرغوب فيها يتخذ أشكالاً مختلفة ، فشخص يلقى الكتاب من يده ، وآخر يمزقه ، وثالث يبيعه . أعرف ناساً كثيرين حين ضاقوا بالقراءة باعوا مكتباتهم التى اقتنوها على مر الزمان ، فلما ذهبت فترة السأم والملال ندموا على ما فعلوا

في افتتاح العام الدراسي

المعلم في عهد التحرير

للأستاذ محمد رجب البيومي

أشرق على مصر فجر جديد يبعث الضوء والأمل ، ويطرد الظلام واليأس ، وقد أحس كل مصري أنه بدأ يعيش لوطنه ونفسه ، بعد أن كان يعيش غريبا لغيره ، فأخذ يفكر في مهمته ، ويبحث عن خير مصر ، ويعمل على رفعتها بين الأمم بعد أن تمهدت الصعاب ، واستوى السبيل الواضح أمام السائرين

والمعلم ذو رسالة سامية في أمته ، فهو الذي يخط سطور المستقبل ، ويبني صرح الحياة ، إذ يتعهد النشء بالتربية والصقل والتقويم ، ويبعث في رجال الغد قوة عاتية تحطم الأغلال والسدود ، وتخلق فيهم يقظة واعية تفهم الأمور وتدرك الأسباب ، وقد حرص على أن يقوم بمهمته الشاقة في دأب وكفاح ، دون أن تعوقه المدافع والحوائل ، ليرضى ضميره المتيقظ في أحنائه ، ويقضي حياته مثلوج الصدر ، هانئ البال

وقد وفق المعلم في أداء رسالته إلى حد كبير ، ففي العهد الماضي حينما كان الظلام الدامس يرين على الآفاق في كل مكان ، فالصحف مكممة الأفواه ، لا تسطر غير ما يرضي الباطل ويغضب الحق ، والألسنة المخلصة معقولة حبيسة ، تحاول النطق فلا تستطيع ، والأحرار في كل ناحية يلاقون من البلاء والعنت ما يوهي العزائم ، ويفت في الأعضاء ، !! حينما كان ذلك كله ، كان المعلم يجد في ميدانه متسعا فسيحا لإيضاح الحق وإزهاق الباطل ، فهو يتحدث إلى تلاميذه كما يتحدث الوالد إلى أسرته ، كاشفا ما يرتكبه الآثمون من ضروب الخيانة والرشوة والطغيان ، وقد يضطر إلى التلميح حينما يخشى المغبة المخيفة ، ولكنه لا يني عن أداء رسالته المخلصة لوطنه وأمته ودينه ، لذلك كان التلاميذ في كل مدرسة من مدارس القطر أول من هتفوا بسقوط فاروق وهو في شوكته وسلطانه وجنده ، بل إنهم حاصروا قصوره ، وأسمعوه من السباب والتهكم ما أقض مضجعه ، وشرد النوم عن

وقد لا تنصرف الصورة في إبعاد القراءة إلى الكتاب ، بل إلى الشخص ، فيشعر بالفتور ، أو التثاؤب ، أو الرغبة في النوم ، أو ينام فعلا

ولكن الدخول في النوم يحتاج إلى تفسير آخر يضاف إلى العزوف الباطني اللاشعوري عند القراءة . ذلك أن كثيرا من الناس يعتادون القراءة وهم مستلقون على ظهورهم كأنهم نائمون ، ليكون الوضع بالنسبة إليهم مريحا ، وهذا الوضع بالذات يهيئ إلى النوم . ولذلك ينبغي على مثل هؤلاء إذا أرادوا التخلص من النوم أن يتخذوا لأنفسهم عادة أخرى وهي الجلوس في هيئة جادة ، ويحسن إلى جانب ذلك ألا يخلعوا الملابس الرسمية التي يخرجون فيها ، وألا يلبسوا ملابس البيت . هذا إلى أن النظر في حروف الكتاب مع وضع الرأس إلى الخلف في حالة أن يكون القارئ مضطجعا يتعب العين ويجهدها ، فيكون مثل هذا الشخص مثل الوسيط الذي ينوم تنويما مغناطيسيا

فلابد من تغيير الهيئة

وفي بعض الأحيان لابد من تغيير المكان ، كالخروج من حجرة إلى أخرى ، أو الخروج من الدار إلى الحديقة ، أو الخروج من حديقة الدار إلى خارج البيت

وقد يعالج الإنسان نفسه بأن ينتقل من كتاب إلى آخر ، إذ من شأن النفس أن تسأم الطعام الواحد

وقد يكون الكتاب ثقيلا مملا يبعث كاتبه السأم إلى النفس؛ ومثل هذه الكتب إذا قسر المرء نفسه على قراءتها هي التي تجلب النوم

فعليك باختيار النوع من القراءات الذي لا يدفعك إلى النوم ، ولا تقبل على الاطلاع الشاق الجاد إلا حين تكون في يقظة تامة وصحة جيدة

أحمد فؤاد الأهواني

عينيه ، وبذلك أتيح للمعلم أن يخلق جيلا واعيا يعرف الخائن والمخلص، ويميز الطيب من الخبيث

ولقد اجتهد النفاق الآثم فى تزييف الحقائق، وتشويه الوقائع، فامتلأت الكتب المدرسية بالثناء الكاذب على الأسرة العلوية ، وجعلت كل طاغية فاسق من أبنائها الفجرة ملاكا طاهرا، يراقب ربه ، ويعمل جاهدا لرفعة وطنه ودينه ، وتعاونت معها الصحف والمجلات فى رفعة أناس لا يستحقون غير الضعة والهوان ، فكانت الجرائد اليومية تظهر مكدسة بصورهم الضخمة ، ومتخمة بالأكاذيب الفاضحة تختلق اختلاقا ، عن مروءتهم وفضائلهم فى كل ذكرى تمر ، أو مناسبة تحين ، أجل ! كانت الكتب المدرسية ، والصحافة الخادعة تقوم بجهودها الفاشل فى هذا المضمار ، والمعلم من وراء ذلك كله يقف بين تلاميذه ليدحض الأكاذيب المنمقة ، ويميط اللثام عن الحقائق الفاضحة ، حتى سطع الحق فى الأذهان وضيئا لامعا ، وعرف كل مصرى تاريخ بلاده ، كما كان ، لا كما أريد له أن يكون ، وأمامك الثورة العرابية ، مثال صدق لما نقول ، فقد تواطأت الأقلام الآثمة ، على إبراز زعيمها المجاهد فى صورة المتهور الجاهل ، الذى لا يقدر العواقب ، ولا يتبصر الأمور ، واجتهدت الصحافة المتملقة فى إخفاء كل مقال يكشف وجه الحق فى هذه الثورة الشعبية المجيدة ، فإذا حانت مناسبة ملحة للحديث عنها وجدت ضروبا بشعة من التلفيق والتضليل ، ورغم ذلك كله فقد استطاع المعلم أن ينشئ أجيالا متعاقبة تهيم بعرابى الخالد ، وترى فيه رمز البطولة والتضحية والإيمان ، وجاءت حركة الجيش المباركة فأتاحت لهذه العواطف المشبوبة نحوه أن تجد متنفسا على الأوراق ، وبين أمواج الأثير ، فانطلقت الأقلام فى الصحف ، وانبعثت الأصوات فى الإذاعة ، تهتف بذكرى عرابى الخالد ، وترتفع به إلى أوج البطولة والتقديس

لقد أدى المعلم واجبه فى العهد البائد المنصرم ، وبقى عليه فى عهد التحرير واجب شاق مرير ، فهو مطالب بأن ينشئ الأجيال القادمة على حب الحرية والعزة والاستقلال ، ومكلف بأن يحمى الأذهان الغضة مما يغيم فى سمائها من الأباطيل ، إذ أن حركة الجيش المباركة تصطدم فى وثوبها بمن يروجون الإشاعات المغرضة ، ويرجفون بالمفتريات الخادعة ، فقد دأبت الرأسمالية الحاقدة على نشر السموم فى كل مكان ، وانحاز إليها فريق من ذوى الأغراض الخبيثة كالمحتكرين من التجار ، والمطرودين عن مناصبهم اللامعة لما علق بهم من الشبه ، والمآثم ، وهؤلاء وأشباههم يتأوهون فى مضاجعهم حسرة على ما انتهوا إليه من مذلة وهوان ، ويحاولون الثأر فلا يجدون غير الإشاعات والمفتريات ، وإن من المؤسف اللاذع أن يجدوا آذانا تسمع ، ونفوسا تصدق ! ولو لم يكن ذلك ، ما استطاع إقطاعى آثم فى مغاغة ، أن يقود شرذمة من الجهلة والرعاع ، ليعلن عصيانه وطغيانه على رؤوس الأشهاد ، وما اندفع عامل أبله فى كفر الدوار إلى قيادة عصابة تحطم المصانع وتحرق المنسوجات ، ولو عقل هؤلاء الجهلة من الطغام لعلموا أن حركة الجيش لم تبعث من مرقدها إلا لتمهد لهم سبيل الكرامة والسعادة والثراء ، ومن هنا كان واجب المعلم خطيرا شاقا فهو مطالب — فوق واجبه التعليمي — بإزالة الشبه والمفتريات ، ولن يقول قائل إنه يتدخل بذلك فى السياسة ، وهى محظورة على التلاميذ ، إذ أن السياسة الحزبية التى تقوم على الأشخاص وتغفل المبادئ ، هى المحظورة الممنوعة ، أما السياسة القومية التى تسعى لخير الوطن واستقلاله ، فلن يستطيع عاقل أن يحرمها على الطلاب ، ولاسيما أن كل أسرة من أسر الوطن العزيزة تبعث بأفرادها إلى المدارس والمعاهد ، فإذا عرف التلميذ من معلمه وجه الحق فيما يدور على مسرح السياسة المصرية استطاع أن يقنع أهله وذويه بما يقوم به العهد الجديد من إصلاح ، فيقطع السبيل على الشائعات المغرضة ، ويأمن الوطن ما يهدده من الزلزلة والانشقاق

إن دراسة الأحداث الجارية من سياسية واجتماعية ، تأخذ نصيبها الأوفر فى مدارس الغرب ومعاهده ، ولكنها لا تجد فى مصر من ينظر إليها نظرة جدية ، بل يكتفى فى بعض المدارس المصرية ، بكتابة موجز يومى لأهم الأنباء السياسية ، على سبورة توضع فى الفناء ، وأكثر المدارس لا تلتفت إلى ذلك ، وتراه عبثا لا يفيد التلاميذ فى شئ !! وهذا خطأ يجب أن يلتفت إليه ، فالأحداث السياسية هى التى تؤلف تاريخ الدولة ، ويترتب عليها مستقبل البلاد ، ولن تكون غير حلقات مشتبكة من سلسلة الحياة ، فالمدرس حين يوجه إليها اهتمامه إنما يبصر الأذهان بما

يمثل فى الوطن من أدوار . وقد يقول قائل إن اشتغال المعلم والطالب بالأحداث الجارية فى مجتمعه يحول دون أداء الرسالة الثقافية التى تضطلع بها المدرسة ، إذ أنها ستزاحم المواد الأخرى من رياضة وعلوم ولغات ، وقد تكون سببا فعالا فى هبوط المستوى العلمى هبوطا لا تحمد عقباه ، ونحن نقول إن دراسة الأحداث الجارية فى الدولة ، والعالم أيضا ، لا يكون بتخصيص أوقات خاصة تقتطع اقتطاعا ، من اليوم المدرسى للتلميذ، ولكن مدرسى المواد العلمية يقومون بهذا الواجب فى دروسهم المختلفة دون أن يشعر التلاميذ أنهم قد انتقلوا من موضوع لموضوع؛ فمدرس التعبير مثلا يستطيع أن يجعل مواضيعه الإنشائية تدور حول الإصلاحات الهامة التى تشغل الأذهان ، كتحديد الملكية الزراعية ، ومحاربة الغلاء وتعمير الصحراء ، وتأميم الطب ، وتشجيع الإنتاج القومى ، وإلغاء الرتب والألقاب، وعلى المعلم أن يفسح لتلاميذه مجال النقاش بالحصة الشفوية فى جو من الحرية والإخلاص ، كما يستطيع أن يعقب على كل رأى بما يعن له من توجيه وتصحيح ، وبدراسة هذه الموضوعات الهامة يلم الطلاب بمشاكل مجتمعهم وأحداثه الهامة ، ويتقبلون ما يدور من الإصلاح بنفس راضية ، وصدر منشرح ، بل يصبحون من دعاته وحملة لوائه فى كل مكان

ولقد كنا فى العهد البائد ندرس التربية الوطنية دراسة مضحكة فنكتفى بالمذكرات الموجزة عن البرلمان والدستور والملك ومجالس القرى والمديريات ، تاركين للطلاب أن يستظهروا ما يدونونه من القشور الجافة دون أن يتشبعوا بالروح الديمقراطية الصحيحة التى يجب أن تغمر البلاد ، وكان من المؤسف أن يحفظ الطلاب فيما يحفظون أن الأمة مصدر السلطات ، ويرون بعد ذلك ما نعرفه من تزييف الانتخابات وتمزيق الدستور ، والعبث بالحريات ، كان ذلك فى العهد البائد ولكنه لن يكون فى عهد سطعت فيه أضواء الحرية ، وعرف كل مواطن حقوقه وواجباته ، وأصبح المعلم ملزما بدراسة التربية الوطنية دراسة تخلق النفوس ، وتعرض الواجبات ، وتقدس الحرية والعدل والمساواة ، وتجعل كل تلميذ يشعر بكرامته الإنسانية ، وينشد لوطنه الحرية والاستقلال

لقد لاحظ بعض الباحثين مايشيع لدى شبابنا المثقف من جهل بالأحداث الجارية ، خارجية وداخلية ، حتى أصبحنا نواجه مشكلة دقيقة ، اصطلح الكتاب على تسميتها بمشكلة « أمية المتعلمين » فأنت ترى الشاب الجامعى يحمل مؤهلا عاليا ، فتظنه يلم بما يلم به المثقف عادة من حوادث العالم وشؤونه فى وقت كثرت فيه الصحف وتنوعت الإذاعات ، ولكنك تناقشه فى أمر ذائع فلا تظفر بشئ مما فطن ، فترجع باللائمة على الدراسة الجافة التى عكف عليها ، فى مدرسته وجامعته ، ونحن لا نريد أن نستمر على هذا النهج المعوج فننشىء شبابا غلف العقول والقلوب ، بل لا بد أن نعيد دراسة المناهج من جديد ، فنضم إلى كل مادة مايخلع عليها الجدة والطرافة ويجرى فى شرايينها دماء الحياة ، نريد أن نبتعد عن التوافه الحقيرة التى لا تفيد الطالب فى شىء غير ازدحام الذاكرة بكل مشوه بال ، نريد أن نبعد عن التاريخ أرقام الميلاد والوفاة لبعض الإمعات من السلاطين والوزراء ، نريد أن ندرس الوثبات الاجتماعية والسياسية للشعوب ونغفل مآكل الملوك ، وهدايا الأفراد ، وتحف الخلفاء ، نريد أن نبتعد عن الشكلية الضيقة فى تدريس الجغرافيا التقليدية ، فلا نقف بها عند الحاصلات والمناخ والتضاريس ، بل ننتهز مايجد من الأحداث الخارجية ، فنكشف عن أسبابها ثم نتطرق إلى الدولة التى كانت مسرحا لهذه الحوادث ، فنتحدث عن مقوماتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وفى ذلك من التشويق مايبعث الرغبة ويولد الاهتمام ، ولن يقف المنهج الرسمى عقبة معترضة ، إذ لا يتعذر على الوزارة إيجاد منهج مرن يدرس الدول الهامة ذوات السيطرة والتأثير فى شتى البقاع

إن المعلم يستقبل مع تلاميذه عهدا نظيفا طاهرا ، ترفرف عليه ألوية الحرية والعدالة والمساواة ، فعليه أن يبذل جهده الجهيد فى إنارة الأذهان ، وتقويم النفوس ، والتشبع بمبادىء الأخلاق ، وبذلك يخلع عن وطنه نير العبودية والهوان ، ويحقق رسالة مصر الخالدة فى موكب الحضارة والعمران

(أبو تيج) محمود رجب البيومي

٣٨ ، ٣٩

سليمان العبسى

فى ديوانه « مع الفجر »

للأستاذ أحمد الفخرى

خلى أسهر الحياة شيدا وأذيب الوجود فى إيمانى
ربما مزقت أناشيدى الحـ راء بعض القيود عن أوطانى
أنا لو أستطيع أرسلت أنفا سى شواظا من مارج ودخان

أهكذا تنصرم الأيام كاللمحة الخاطفة ؟ أحقا تسع سنين قد مضت على لقائنا الأول ؟ تالله لكأن ذلك كان بالأمس .. ولئن استطاع أن يفرق الزمان شملنا فهو أعجز من أن يهزم الذكريات .. ذكريات تلك اللحظات الحالمات .. وهل هن من حلم الحياة إلا يقظة العمر !

يا لحظة النشوان لا تعبرى ما أنت إلا عمرى السرمدى

* * *

فى صالة الاستراحة فى دار المعلمين العالية ببغداد كانت عيون الطلاب منجذبة إلى فتى جالس وحده ، كانوا يحدقون النظر به ثم يتهامسون فيما بينهم حتى رابنى أمره ، فسألتهم ماشأنه ؟ فقالوا — وملؤهم الإعجاب — هذا فتى نابغة من لاجئى (الإسكندرونة) رحمها الله ، وهو شاعر جبار ، فزاد اهتمامى به ، وتأملته فإذا شاب هزيل الجسم ، كليل البصر ، يضع على عينيه منظارا لايلائم شبابه النضر . ونظرت إلى عينيه فبدتا أول وهلة زجاجتين زرقاوين خابيتين لا تعرفان الاستقرار ، فلما أنعمت النظر لمحت من ورائهما بريقا عميقا لم تستطع النظارة ولا قصر النظر إطفاءه

ذلكم هو سليمان العيسى شاعر الشباب الرقيق وشاعر الفتوة العربية بحق ، ذلكم سليمان الذى سهرته عواطفه وأذابته مآسى هذا الوطن المتلاحقة ، سليمان الذى يقول :

ألقيت فى الإعصار روحى وسقيت من قلبى جروحى
أنا لست أغنية الهوى بل صرخة الأمل الذبيح

والذى يقول :

أنا لو أننى خلقت جماداً كنت أولى قذائف البركان

وبعد فعسير على أيها القارئ العزيز أن أنقد شعر سليمان نقداً علميا منظماً لأنى لا أستطيع أن أجرد حديثى من عاطفتى وأى عاطفة هى ! اتحد مزجتنا الآلام ووحدت سيرنا الآمال وعشنا بضع سنين نحيا حياة واحدة تحمل فى صميمها من حاضرنا شكوى مشتركة وتطل بنا على المستقبل من منظار واحد

ومجمل ما يجب ذكره أن أقول إنابتنا مقت الأقوال ونود لو بالأعمال اعتضنا عنها أو كما يقول سليمان فى مقدمة ديوانه (مازلت أوثر أن أحيا على أن أسجل) فكانت حياته شعرا وكان شعره هذه الحياة الفنية الفتية الغنية بحب الوطنين (القلب) وطننا الأصغر (والأمة العربية) وطننا الأكبر ، وهو لا يرى الأول إلا صورة مصغرة من الثانى ، وهى ممهدة له ومغذية .. ولهذا فأنت لا تفتأ تجد فى ديوانه انتقالا رائعا من الغزل إلى الحماسة ، تفسره لك هذه العقيدة النبيلة ، اسمعه يقول فى موشحه (لمن أذوب ألحانى) :

لو كنت حرا لأسكرت الوجود على
أنغام حبى ... وأفنيت الصبا قبلا ...
أستسمح الحسن ، بل أستغفر الغزلا
ماذا ؟ أأرقص فوق النعش قد حملا
جثمان شعبى فيه ، ضاحكا ، جذلا ؟
أأستحيل كغيرى نحوه خشبا ؟
وأسخط الله ، والتاريخ ، والعربا !

* * *

لى من هواك .. جناح سوف أقتحم
برج النضال به ، والهول يحتدم ...
هذى (القيود) التى حولى ستنحطم
لا قدس للحب فى أرضى ولا حرم
ما نقلت فوقها (مستعمراً) قدم ..
قولى لمن تنكر (الذوبان) ما ارتكبا ..
هل تأمن النمر الملعون أن يثبا ؟

* * *

وبعد أن يقول من موشحه (جنة الفن) فى أسمهان :

يؤثر الفن لو نسينا (المكانا)
واختصرنا ... بقبلتين (الزمانا)
ما وهبنا الشباب : والعنفوانا
لنداري جراحنا ، وأسـانا
لن تراني يا قلب أشكو سنانا
خضبته كف الهوى بوريدى
لن يراني اللهيب غير وقود ...

اسمعه بعد ذلك يقول :

حرقة أنت فى فؤاد الغناء
أن تناى عن الكئوس الظماء
قبل أن تشهدى مع الصحراء
يوم عرس الحرية الزهراء
قبل أن تصدحى بلحن (الجلاء)
وتهزى به رفات الجدود
يوم نمشى على حطام القيود

***

وليس أصدق فى تمثيل فكرته هذه وشدة تعلقه بها واعتزازه ن وصيته فى نشيده لشبله (معن) ، وهل أشد إخلاصا من صيحة الكبد بضعة منها ؟

وعدا ... إذا عبق الجا ل ورفت النيد الحسان !
وعوجت شعل الشبا ب وصاح فيها العنفوان
ولويت أعطاف الحنـ ن فطار من يدك العنان
فاشرب على نخب (الحيا ة) فإن ظامئها جبان
وأحب ملء الروح منـ طلقا .. وللحذر الهوان

***

وإذا تفجرت الحقود .. وزمجر البلد المهان
ورأيت أرضك ها هنا (ناب) وثمة (أفعوان)
وتكلم الأحرار فالآفا ق نار أو دخان
فاخضب طريقك باللهيـ ب وأنت فى يده سنان

***

ذلكم سليمان : قلب ناضر ملؤه الحب والجمال ، وشباب ثائر تتقاذفه الآلام والآمال ، فهو بين يأس (أو شبه يأس) لولا جلال التاريخ ووقدة العزيمة لذهب بالأمل ، وأمل لولا عزة الماضى وعمق جذوره لخبت جذوته واستحال رمادا ، وروح ثوارته خضم مائج لا يستقر ، وكيف يستقر وفتوة الشباب تذكيه ونكبات الضاد تمر به إعصاراً أهوج !

وهو من بعد إن سار سددت خطاه حماسة الشباب وحرارة الحياة ، وهو إن تكلم نطق الحب ، حب تلك الحياة الفتية المتدفقة المتألقة فى كلامه ، فما الحياة وما الحب إلا للوطنين القلب والضاد ، وحسبه فى هذين الفرضين — وقد أسراه — أن يتنقل بين أفنان لا حدود لرياضها ، وأن يضرب فى لج لا ساحل لعبابه : الحب والبطولة — يا أخى القارئ — وقد أهدى إليهما ديوانه لأنه استوحاه منهما — الحب والبطولة حسب الشباب شبابا فهما الحياة بأجمل وأوسع وأقوى معانيها ؟ وهل الفن إلا تعبير حساس عن الحياة ؟

(لحة هزت نشيدى فانطلق — رعشة حيناً وحيناً زلزله)

والحياة الخالدة هى أمنية كل حى فان وفقدانها سر شقاء الخيام .. ولكن سليمان خلد نفسه فى خالدين . . وهل أروع من أن يخلد الإنسان ذاته فى وطنه الصغير (القلب) وفى وطنه الأكبر (أمتـه) ؟ وهـل أحر لوعة من أن يشكو الإنسان مصيبته فى أحدهما إلى الآخر ؟

عروس الشعر ... ما انفسح الخيال
تلى دنيـا ... هى السحر الحلال
ولا نديت على الظمأ الرمال
ولا غنى فم ... لولا الجمال
قصيد الكون أنت ... وما إخال
ربابا فى عيون الآلهات
يصاغ بهـا لرقته مثال
عروس الشعر معذرة القصيد
إذا ما جن فى وترى نشيدى
تمرد أن ينام ... على (القيود)

فراح يهز أجفان « العبيد »
ليفتحها على ذل السجود ...
فإذ شـــعبى موات فى موات
وإذ وطنى : همـود فى همـود

وهو فى هذين المضمارين قد أرضى جميع نقاد الفن وإن لم يتعمد ذلك لأنه لم يتصت إلا إلى أوتار قلبه ، أرضى فى حبه أرباب الفن للفن كما أرضى معارضيهم فى سمو توجيهه (وحرية) أوتاره

أنا ما نظمت الشعر بل ذوبت رنات القيـــود
وعصفت. إذهتف الهوى. ناراً على شـفة الجليد

* * *

فأما الحب ، وأما دقات الشباب ؛ وأما خفقات الفؤاد ، فما أعرف شابا أديبا مثل سليمان أحسن نجواهن فسحر ، وغنى بألحانهن فأطرب وأسكر ، وهل الحياة إلا الحب ؟

هى الدنيا ، وهل فيها - إذا لم نهو - ما يسبى
إذا رضى الغرام عليـــك فأمن جانب الرب

* * *

وهل عمر الشبـاب إلا :

عمر الورد قصير ... فلندع
كل ما فى الروض يغرق فى المراح
ليس فى ثغر الأقاحى مبتسم
لسوى القبلة من ثغر الأقاح

وإن هذا الغناء وإن شابهت أنغامه أنغام الخيام إلا أنها أشد اتصالا بينبوع الحياة ، وليس وراء مرحها وإغراقها فى اللذة جرات يأس ، بل هى نقية سافية لأنها من معين الخلود :

علمتنى طرق السما . فجن شـعرى بالسماء
وهتفت بى — والأرض تجذب ناظرى : — إلى العلاء
فهوت على قدمى ، خلف السحب ، أشبـاح الفنـاء
وإذا الخلود ... على فمى كأس تفجر بالغناء ...

* * *

لا تحذرى ... لم يحطمنا سوى الحذر
لا تحسبى غير لقيانا من العمر ...
ألقى بروحك فى أرجوحة القدر
وعانقينى على إطلالة القمر ...

* * *

أنقل على شرفات الخلد أقـدامى
وأسكر المـلأ الأعلى بأنغامى ...

* * *

لا تأسفى للدجى إما تريه فنى
فى تمتمات النشاوى مصرع الزمن
دعى هواجس هذا الكون فى كفن
يخلو لهن ذوو (الآراء) والفطن
واستنشدينى فقـد باتت تعـذبنى
أنشودة لم أتمها ولا عجبـــا
صدرى يضيق بألحانى وإن رحبا ..

إذن فلينهل من هذا الكوثر قبل أن يفقده ، وليحرم منه أحيانا ليشعر بألم الحرمان فما هذا الألم إلا صورة من اللذة الخالدة ..

أقفلت أنفاسى على جمرة لفاحة ... تلهب ما تلهب
ورحت أستعذب آلامها والألم الخلاق يستعذب

* * *

فى غد تخبو رؤانا الزاهيه لم لا نشملها قبل الغد ؟
فى غد .. تمضى الأمانى الحاليه والأغانى بددا فى بدد

* * *

سنبسم للجراح عـلى الجراح
ونسقيهن ألحــان المراح
ويحملنا الشباب بلا جنـــاح
إلى أحلامنـــا الخضر الفساح
إلى دنيا منضرة النواحى ...
هنـــاك إذا افترشت النيرات
غفوت على أغاريدى وراحى

البقية فى العدد القادم

أحمد الفخرى

شـلر

للكاتب الكبير توماس كارليل

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

— ٦ —

إننا نجد شلر فى تصادمه مع مواطنيه المثل الأعلى فى سموه الخلق، وهذا السمو هو الرابطة الوحيدة التى كانت تشده بمجتمع زمانه، وقد أظهر كل النبل مع أعدائه وأصدقائه على حد سواء. على أنه لم يدخل قط فى مجادلات وترهات عصره. وبالرغم من مشاهدته وأسفه على إسفاف الأدب فى زمنه لم يشهد حربا مكشوفة عليه، وإنما نراه يلمح إلى ذلك عن بعد كما هى الحال فى كتابات (ملتون) ولذا نراه لا يتطرق إلا إلى أسماء عدد قليل من معاصريه، لأنه لم يقصد الناس فى هجومه وإنما كان يقصد الأفكار الموجة والآراء الفجة. وفى كتابه (دراسة عن برغر) — هذا الكتاب الذى أسهب الناس فى الحديث عنه وعلقوا عليه شتى التعليقات، والذى أنزل أشد الضربات فى الشاعر المسكين (برغر). إلا أن شلر لم يقصد منه إثارة أى عداء ضد برغر — بل على العكس حاول أن يظهر فيه احترامه لفن الشاعر وتجربة لفهمه، لأنه لم يمن بالمنازعة مع برغر أو أى شخص آخر كما لم يقصد إلى كسب رضا الجمهور، وقد كان حائزا عليه بدرجة عالية لأنه لم يقدر هذا الرضا. وقد قال فى هذا المعنى فى فقرة جليلة يعرفها القراء الإنجليز « إن الفنان فى الحقيقة هو ابن عصره، ولكن وا رحمتاه له إن هو أصبح تلميذ هذا الفكر، نخير له لو اختطفته يد إحدى الآلهة وهو لا يزال رضيعا من حضن أمه لتربيه فى عصر آخر أحسن فيشب ويبلغ مبلغ الرجال تحت سماء الإغريق القصية، وحالما يدرك هذا المبلغ فله أن يرجع إلى بلاده غريبا فى سيمائه ليس ليسرها بوجوده، بل ليطهرها كأحد أبناء أغاممنون الرعيبن » . وعلى كل، فشلر لم يكن عنده أثر من آثار الغرور أو حتى الكبرياء، لأن شعوره الذاتى المتواضع كان أهم ميزة من ميزات عبقريته التى كانت ضمنية غير ظاهرة عليه، فلم يكن للمقت أو للغضب محل فى نفسه اللهم إلا ضد الخرافات والإسفاف، وعنده تصبح الكراهية شيئا مقدسا، كما أن الزهو العاتى لم يكن له أثر فى نظرته، أما تجهمه فكان يشبه تجهم أبولو الذى كان يقضى على الأفعى بنظرة واحدة من نظراته [1] . وبكلمة أخرى يمكننا أن نقول فى شلر مانقوله فى أفراد قلائل من أى قطر كان : لقد كان خادما من خدام معبد الحق وقد قام بمثل هذا الواجب خير قيام، وليكن هذا ذكرى لنا على الدوام فى عصرنا هذا، وهذه الذكرى وحدها كافية للاشادة به . ولقد اتفق سلوك شلر العقلى مع سلوكه الأخلاقى اتفاقا دائما؛ فكان بسيطا فى عظمة، ساميا فى عدم تكبر، تقيا فى عدم إسفاف، غيورا فى عدم حسد . وكانت الحساسية النبيلة والمشاركة المخلصة مع الطبيعة فى جميع تقلباتها تنعشه وتبعث فيه ميت الرجاء؛ إلا أن ذلك لم يكن مدعما بقابلية إبداعية . ولكن الطبيعة بما فيها من معنى وجمال كانت محدودة بصور قليلة لدى بصيرته، وكان اهتمامه يتركز فى نوع خاص من الصور، هى أقرب إلى العاطفة القاسية الشجية، وهذا ما كان يمكنه أن يمثله خير تمثيل كشاعر وكمفكر . ويمكننا أن نقول : إن موسيقاه كانت موسيقى سماوية حقة، ولكن فى نغمات رتيبة غير متنوعة وفى إيقاع بسيط، ولكن الانسجام فى الترتيل مفقود فيها . ولا نكران بأن شلر فى أيامه الأخيرة، على الأقل، أدرك أسلوبا شعريا باهرا صافيا فى المجالى الخالدة من الفن، ولكن هذه الموهبة ظلت جزئية، لأنها كانت نتاجا لبعض قابلياته المكدودة أكثر من كونها نتاجا ذاتيا لطبيعته الكلية، فعلى قمة المحرقة يوجد لهيب أبيض ولكن المواد ليست كلها ملتهبة إذا لم نقل غير مشتعلة . لا بل يظهر لنا أن الشعر إجمالا لم يكن موهبته الرئيسة، كأن عبقريته كانت منهمكة فى التأملات الفلسفية والبيانية أكثر من الشعر . وإلى النهاية كانت هنالك خشونة فيه مما جعل عدم انصهاره فى بودقة الشعر أمرا لا مفر منه . وهكذا لم تكن عبقريته قيثارة (بولية) تعزف عليها الرياح كما تشاء لتصنع لحنا حرا، بل آلة موسيقية علمية إذا ما عزفت عزفا فنيا أنتجت نغمات بديعة ولو بصورة محدودة . ومن المحتمل أن جزءا يسيرا من مواهبه انكشف لنا، لأننا يجب أن نعلم بأنه لم

(١) حياة شلر

يحظ بما حظى به إلا بعد جهد جهيد وتعب شديد ، وأنه استدعى إلى العالم الآخر وهو لما يبلغ منتصف العمر . وعلى كل حال ، فنحن على قدر ما نجد فيه من المواهب مجبرون على الاعتراف بأن أهم هذه المواهب كان هذا الإدراك العميق الدقيق الذي نجده في كل مؤلفاته . لقد كان لديه خيال ذهني واسع الأفق وقابلية فلسفية إدراكية عميقة ، ومع ذلك فإن البساطة وعدم الشمول ظاهران في كل هذا

وكان شلر ينظر إلى الأعالي بدلا من أن يحدق فيما حوله . وكان يهتم اهتماما خاصا بالأمور الفلسفية البعيدة والتأملات الفنية وقيمة الإنسان ومصيره . ولم يعن بمصالح الإنسان وأعماله الآتية . ومع ذلك فهذه الأخيرة — كما تظهر لنا — ذات قيمة لا محدودة ، لأن أبسط مظهر من مظاهر الطبيعة ، وخصوصا الطبيعة الحية ، ما هو إلا نموذج ومطلع (٢) من مطالع الروح غير المرئية التي تعمل في الطبيعة . وليس من شيء تافه في الكون ، بل إن أصغر شيء يمكن أن يعتبر نافذة للنظر من خلالها إلى اللامحدود . ولم ينظر شلر كمفكر وكشاعر أكثر من نظرة عابرة إلى مثل هذه الأشياء ، سواء كان ذلك في مناقشته أو في عرضه للطبيعة وتصوره لها . فالشيء العادي ظل عاديا بالنسبة إليه ، وإذا نظر إليه نظرة مثالية فذلك بصورة ميكانيكية ليس للوحي فيها أي مكان ، وليس عن طريق التطلع الفلسفي الشعري ، هذا الطريق الذي يفتح مجاهل الجمال في كل صفة من صفاته ، بل عن طريق استنتاج هذه الصفات بانتقاء ما هو وضاء بارز منها وترك الباقي تذروه الرياح

وفي هذا يختلف شلر اختلافا بينا عن الشعراء العظام وخصوصا عن معاصره العظيم جوته ، وهذه العظمة الفكرية — على ما هي عليه من قيمة وأهمية — عظمة بسيطة تسحر البصر لأول وهلة ولكنها لا تلبث أن تفقد الكثير من جلالها . فليس النظر إلى المجردات العلوية صعبا بمقدار الصعوبة التي نواجهها في النظر بعطف إلى مشاكلنا الآتية ، والحكيم هو من يرشدنا ويساعدنا في أمور حياتنا اليومية ، وقد يجوز أن يكون حكيما كذلك من يرشدنا للنظر إلى الحقائق القديمة نظرة أكاديمية شكلية ، ولكننا نريد أن نرى الحكمة في أشكالها المكشوفة البينة ، لأننا قد نجد في الأمثال كثيرا من الحكمة الواقعية أكثر مما نجد في النظم الفلسفية والمدارس الأدبية . فكتاباته المبكرة وكل كتاباته تقريبا تمتاز بهذا الترف الأرستقراطي وهذا الزهو المجرد . فهو إما أن يكون تجريديا أو نظاميا في تأملاته أو نراه متعلقا ببعض الأفكار المعترف بها ، غير عابئ بالنظر إلى ما يحيط به أو بالنظر إلى نهر الحياة المتعدد الألوان ، وإذا نظر إلى ذلك فمن خلال كوة ضيقة . ففلسفته في التاريخ تستند على اعتبار كمال الإنسان نتيجة من نتائج التنظيمات الاجتماعية والمؤسسات الدينية ، يستبين ذلك في شعره ، فهو يدور في نطاق الأمور القديمة المعروفة من أمثال جنون الحب ، والعظمة العاطفية ، والحماسة في الدفاع عن الحرية وما شابه . نجد ذلك في كتابه (دون كارلوس) ، هذا الكتاب الذي يمكن اعتباره مرحلة انتقال ونقطة تحول بين فترتين من حياته : المبكرة والمتأخرة ، وفي هذا الكتاب نجد البطلة المحبوبة (بوزا) تظهر محلقة في الأجواء ، مضيئة صافية نقية وباردة وجافة كالمنارة البحرية . وقد عرف شلر نفسه بأن العظمة لا تكمن هنا . وبجهد لا كلل فيه ولا ملل تمكن شلر من التخفيف من غلواء تحليقه وتوسيع رقعة منطقته الأرضية بالهبوط إليها ، وقد حدث ذلك بنجاح منقطع النظير ، كما تشهد بذلك أشعاره وأكبر دليل على ذلك قصيدته (نشيد الأجراس) ، وهي قصيدة عظيمة بلغت مبلغ الإعجاز في بلاغتها وفي عرضها . أما مأساته (وليم تيل) . وهي آخر مؤلفاته — فهي في أسلوبها وروحها من أحسن ما كتب في الدراما . أما قصوره الوحيد — كما قلنا سابقا — فهو عدم تنازله واختلاطه بالمجتمع ، ومما له علاقة وثقى بهذا القصور سببا ونتيجة ، هو فقدانه لروح المزح والملاطفة ، هذه الروح التي تعبر عن الشاعر العامة ، فينظمها الشعراء شعرا عذبا مستساغا ، فالشاعر اللازم يرى الحياة العامة وحتى الوضيعة منها بمنظار المرح والحب ، لأن كل شيء موجود له سحره الخاص

البكلام صلة يوسف عبد المسيح ثروت

---

(٢) مطالع اصطلاح صوفي ومعناه الانكشاف الروحي لإنسان محاذر من قبل واجب الوجود

ديوان مجد الاسلام

نظم الشاعر المرحوم أحمد محرم

وتعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

تابع غزوة بدر

أودى (بعتبة[١]) و (الوليد[٢]) و (شيبة[٣])
و (أمية[٤]) القدر الذي لا يبرح[٥]

وهوى (أبو جهل[٦]) و (نوفل[٧]) وارعوى
بعد اللجاج (الفاحش المتوقح)[٨]

لما رأى (الغازى المظفر) رأسه   أهوى يكبر ساجدا ويسبح[٩]

فى جلده من رجز ربك آية   عجب تفسر للبيب وتشرح[١٠]

تلك السطور السود ضم كتابها   أبهى وأجل ما يرى المتصفح

إن لم يغيب فى جهنم بعدها   فلمن ســواه فى جهنم يصرح ؟

أدركت حقك يا(بلال)فبوركت   يدك التى تركت(أمية)يشبح[١١]

واف المطار ووال يا (ابن رواحة)   زجل الحمام، إذا يطير ويسجح[١٢]

هذا (ابن حارثة) يطوف مبشرا   بالنصر يخزى الكافرين ويفضح

لمــا تردد فى البلاد صداهما   أمست قلوب المسلمين تروح

فكأن كلا معرس ، وكأنما   منه ومنك مهنئ ومرفح[١٣]

قل يا (أبا سفيان[١٤]) غير ملوح   فالنصر يخطب ، والسيوف تصرح

بيض على بلق ، تساقط حولها   سود مــذممة تساف وترمح[١٥]

ذهبوا ، وأخلفهم رجاء زلزلوا   فيه ، فزال كازول الضحضح[١٦]

أكذاك تختلف الزروع ، فناضر   ضافى الظلال ، وذابل يتصوح ؟

القوم غاظهم الصحيح ، فزيفوا   ومن الأمور مزيف ومصحح

خطأ الزمان فشا ، فلذ بصوابه   وانظر كتاب الخلق كيف ينقح ؟

جاء (الإمام العبقرى) يقيمها   سنناً مبينة لمن يستوضح

---

(١) عتبة بن ربيعة ، برز للقتال فجاءه فتية من الأنصار ، فقال : إنما أريد أكفائى من قريش ، ونادى مناديهم : يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا ، فأمر بعبيدة بن الحارث وحمزة وعلى رضي الله عنهم ، فقتل على الوليد ، وقتل حمزة عتبة ، وتبادل عبيدة وشيبة ضربتين أثرتاهما ، فكر حمزة وعلى فأجهزا على شيبة ، ثم احتملا عبيدة ومخ ساقه يسيل ، وكانت الضربة فى ركبته ، فأفرشه النبي قدمه الشريفة فوضع خده عليها ، وقال له صلى الله عليه وسلم (أشهد أنك شهيد) قال عبيدة : وددت والله لو أن أبا طالب كان حيا ليعلم أينا أحق منه بقوله :

ونسلمه حتى نصرع حوله   ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم قال : —

فإن يقطعوا رجلى فإنى مسلم   أرجى به عيشا من الله عاليا

وألبسنى الرحمن من فضل منه   لباسا من الإسلام غطى المساويا

مات رضى الله عنه من هذه الضربة ، فهو من شهداء بدر

(٢) هو الوليد بن عتبة

(٣) شيبة بن ربيعة

(٤) أمية بن خلف قتله بلال ، وإلى هذا سبقت الإشارة فى القصيدة الثانية من الديوان بهذه الأبيات : —

أرنى يديك أفيهما (لأمية)   ورد من الموت الذعاف منهل

للسيف سيف الله أهول موقعا   من صخرة تاق ، وحبل يفتل

لك فى غد دمه إذا التقت الظبى   تحت العجاجة ، والرماح الذبل

(٥) لا يدفع

(٦) ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعوذ بن عفراء من الأنصار ، وأجهز عليه ابن مسعود ثم جاء برأســه إلى النبي فحمد الله ، وجاء أنه سجد خمس سجدات شكرا ، وفى رواية صلى ركعتين وقال : الحمد لله الذى أعز الإسلام وأهله ، الله أكبر ، الحمد لله الذى صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده

(٧) نوفل بن خويلد . قال على : أنا قتلته ، فكبر النبي وقال : الحمد لله الذى أجاب دعوتى فيه ، فإنه لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع : يا معشر قريش ، اليوم يوم الرفعة والعلا ، فقال النبي : اللهم اكفنى نوفل ابن خويلد ، وإنما قال على أنا قتلته ، جوابا لقول النبي : من له علم = بنوفل بن خويلد ؟

(٨) المراد أبو جهل لعنه الله ، وهو المسمى فرعون هــذه الأمة على لسان الرسول الــكريم

(٩) لما جئ برأسه الى النبي صلى الله عليه وسلم حمد الله ، وفى رواية أنه سجد خمس سجدات شكراً ، وجاء أنه صلى ركعتين وقال الحمد لله الذى أعز الإسلام وأهله ، الله أكبر الحمد لله الذى صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده

(١٠) وجدت فى جسد أبى جهل آثار سود كآثار السياط ، شبيهة بسمة النار ، وهذا من ضرب الملائكة

(١١) هو أمية بن خلف ، وقد سبقت الإشارة إلى قصته ، ويشبح يشق ويفعل به كالجلد المشبوح ونحوه

(١٢) لما فتح الله على المسلمين أرسل النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة بشيراً لأهل العالية ، وهو موضع قريب من المدينة ، وزيد ابن حارثة بشيراً لأهل السافلة ، سجحت الحمامة بمعنى سجعت

(١٣) أعرس الرجل بأهله بنى عليها ، ورفحه قال له : بالرفاء والبنين

(١٤) هو أبو سفيان بن الحارث بن هشام ، لما قدم على أهل مكة بعد وقعة بدر ، سأله عمه أبو لهب عن خبر قريش فقال : هلم الى ، عندى الخبر ، والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالا بيضا ، على خيل بلق ، فغضب أبو لهب

(١٥) تضرب بالسيوف وتطعن بالرماح

(١٦) الضحضح السراب

صدى الوقعة فى مكة

لما ترامت أنباء الوقعة إلى مكة فرح المسلمون كثيرا ، وحزن المشركون حزنا شديدا ، فأقيمت المآتم ، وجز النساء شعورهن ، وكان ممن عاد إليها من بدر أبو سفيان بن الحارث بن هشام ، وقد تقدم ذكره فى الملحمة الحائية ، فلما أنبأ عمه أبا لهب بما رأى وقال : لقينا رجالا بيضا ، على خيل بلق ، قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك والله الملائكة ، فضربه أبو لهب فى وجهه ضربة شديدة ، ثم احتمله وضرب به الأرض وبرك عليه ، فأخذت السيدة لبابة عمودا فضربت به رأسه فشجته شجة منكرة ، وقالت : استضعفته أن غاب سيده ؟ فولى ذليلا ، ولم يعش بعد هذه الضربة سوى سبع ليال ثم مات :

وضح اليقين لمن يرى أو يسمع   ولقلما تجدى الظنون وتنفع
النصر حق ، والنبى صادق   والويل للمغرور ، ماذا يصنع ؟
إخشع (أبا لهب) فإن تك ذا عمى   لجبال مكة ، والأباطح خشع
(مولى رسول الله) يضرب ماجنى   ذنبا ، ولم يك كاذبا يتشيع
هى يا (أبا لهب) كتائب ربه   نزلت ، تذل الكافرين وتقمع
أخذت (لبابة[17]) للضعيف بحقه   ومضى الجزاء ، فأنت عان موجع
وشفته منك بضربة ما أقلعت   حتى رمتك بعلة ما تقلع[18]
قالت بغيت عليه ، واستضعفته   أن غاب (سيده) وعز المفزع
ما (بالعمود) ولا برأسك ريبة   إن الغوى بمثل ذلك يردع
حييت (أم الفضل) تلك فضيلة   فيها لك الشرف الأعز الأمنع
الله أهلكه بداء ماله   شاف ، ولا فيه لآس مطمع
عضى البشائر جولا ، وتجول فى   دمه السموم ، فجلده يتمزع
أمسى المكاثر بالرجال مبغضا   يجفى على قرب المزار ويقطع
أكلته صاعقة العمود ، وإنما   أكلته سبع[19] بعد ذلك جوع
هم غادروه ثلاثة فى داره   لا الدار تلفظه ، ولا هو ينزع[20]
تتجنب الأيدى غوائل دائه   فيدع بالخشب الطوال ويدفع
رجوه ، لو كره السفاهة فارعوى   ما ساء مهلكه ، وهال المصرع
ما أكثر الباكين ملء جفونهم   للجمع بالبيض البواتر يصدع
جز النساء شعورهن ، وغودرت   للحزن منهن الدموع الهمع
رجمن مكروه العويل على أسى   و(البيت) يشهد و(الحطيم) يرجع
والمسلمون بنعمة من ربهم   فيها لكل موحد مستمتع
الله أكبر ، لا مرد لحكمه   هو ربنا ، وإليه منا المرجع

(١٧) هى أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب ، وأخت السيدة ميمونة أم المؤمنين ، وكانت من السابقات إلى الإسلام

(١٨) أصيب بعد هذه الضربة بالعدسة وهى قرحة خبيثة كانت العرب تتشاءم بها ، وتخاف عدواها أشد الخوف فتباعد عنه أهله وبنوه حتى مات

(١٩) الليالى السبع التى مات بعدها

(٢٠) بقى بعد موته ثلاثة أيام لا يقرب أحد منه ، فلما خافوا السبة فى تركه حفروا له ثم دفعوه ببعض الأعواد فى حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه

يتبع

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

... والمسرح أيضا

ما تزال « البندقية » تتصدر الحركة الأدبية والفكرية والفنية فى هذه الأيام فهى بعد أن فضت مؤتمر الفنانين الذى عقد فى شهر سبتمبر الماضى ، جمعت مؤتمر المعهد الدولى للمسرح خلال الشهر المنصرم ، واشتركت فيه ١٦ دولة أوربية وآسيوية وأمريكية . وعنى المؤتمر بعلاج المشكلات والعقبات التى تقف دون تقدم الفن المسرحى ، على أساس مطالبة الدولة بمساعدة مالية دون أن تفرض رقابتها سواء من الناحية السياسية والفكرية والفنية ، كما نظر المؤتمر فى ضرورة مقاومة الاستقلال الذى يقوم بين الوسطاء بين المسرح والجمهور ، وصون حقوق المخرجين والفنيين الذين يقومون بإعداد المسرح وترتيبه

وبينا كان هذا المؤتمر منعقدا فى البندقية ، انعقد فى باريس اجتماع اليونسكو لدراسة « حق الإنسان فى المساهمة فى الحياة الثقافية » بعد أن عهد إلى مجموعة من المربين بدراسة هذه المشكلة وإيجاد حل إيجابى لها

حق الأديب فى الحياة الكريمة

فى هذا الوقت الذى توقع فيه اتفاقية حقوق المؤلفين فى البندقية ، تدور فى الصحف العربية معركة ، مشتركة ، لا أدرى كيف تلاقت الأفكار حولها دون سابق ارتباط

فنى صحيفة « العمل » التى تصدر فى لبنان مقال بعنوان « الموهوبون » يقول فيه كاتبه الأستاذ راجى الراعى :

« منذ خلق الأدب والفن والأديب والفنان مظلوم محروم ، ونحن نعلم أن الآلام هى القيثارة التى تحمل أوتار الأديب ، والدواة التى يغمس فيها قلمه ، والمرائس التى تأتيه بالروائع ، وأن بين الرعشات والتنهدات والعبرات والجراحات تهبط الآيات الخالدات ، فلا نريد أن نخرجه من دنياه ، ولكننا نريد له جوا فسيحا مريحا يتسع لجناحه ، وبيتا يملكه وفيه القليل الذى لابد منه ليلد الكثير الذى يتمخض به خياله ، وحديقة يتنشق فيها الورود ليأتيك بورود . ونريد له ما يبتاع به الضمادة والرداء ، وما تتطلبه المعدة القاهرة التى لا تعرف الهدنة والعياء . وما يقيه قيظ الصيف وزمهرير الشتاء . . شر الظلم هذا الذى يعانيه صاحب الوحى والقلم ، ولقد حان لنا أن نرفع الموهوب إلى المكانة التى تليق به وأن نريحه من الأنبار التى تدميه ... »

الرصافى أمير الضحايا

وفى نفس الوقت تنشر جريدة « النبأ » فى العراق مقالا للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري يقول

« أرأيت كيف يعيش الرصافى ؟ ! »

أشك بأنه مات من سوء التغذية ! وأنه كان لا يجد بعض الأحايين ثمن الدواء الذى يقرره له أصدقاؤه الأطباء !

أهكذا يجب أن يعيش العباقرة لمجرد أنهم شعراء بينما غيرهم من الجهلة واللصوص يسكنون القصور الفارهة والبيوت الشامخة

قد تقول ... لم لم يجار السلطات الحاكمة ليعيش برفاه ، وهنا بيت القصيد وعلة العلل . الرصافى كرجل وكشاعر فى زمن وصل فيه الظلم الاجتماعى إلى التدهور ، وليس من العدالة أن لا يدخل فى حلبة السياسة ليذب عن المظلومين وينافح عن المنكوبين من أبناء الشعب ، ولو أنه ترك السياسة فى سبيل العيش الرغيد والمنصب الرفيع كان مجرما بحق رسالته التى كافح من أجلها راضيا صابرا رغم بؤسه وجوعه وعذابه

وإذا اشتغل الشاعر بالسياسة وكان ضد الحكومة والسلطة الحاكمة ، والرجال الذين بيدهم الأمر والحل والربط ، فيجب أن يموت جوعا لأنه لا يمشى فى ركابهم »

الألم العبقرى ليس ألم الجوع

وفى عدد آخر من جريدة « النبأ » يقول الكاتب « إن الأديب والشاعر لا يمكنه أن يبدع ويخلق وينتج ما هو خالد وجدير بالبقاء ما لم يتنعم على الأقل بمباهج الدنيا لأننى أختلف مع الذين

يقولون إن الجوع يخلق ، ولا أدرى كيف يمكن الإنسان الجائع أن يفكر تفكيرا صحيحا ، إذا كانت معدته خاوية ! وأظن أن شوق عندما قال :

تفردت بالألم العبقرى وأنبغ ما فى الحياة الألم

لم يك يقصد بالألم العبقرى ألم الجوع

ومعنى هذا أن القضية واحدة ، ومتصلة ، ولكنها قضية الشرق كله ، وأعتقد أن الذى أثار هذا الحديث فى مختلف صحف البلاد العربية هو ما ذكره الدكتور طه حسين فى كلة فى مؤتمر البندقية عن حق الأديب فى الحياة

ألوانه . . .

من أخبار هذا الأسبوع الأدبية الإفراج عن كتاب « المعذبون فى الأرض » وقد سعدت بلقاء الأستاذ العميد مساء الخميس ، وحضر الاجتماع كاتبين من كتاب الشباب

وقد تحدث الدكتور مع أحدهما عن رأيه فى أسلوب الشباب الأدبى ، معلقا على كتاب من الكتب ... فقال إنه يكره جدا للشباب هذا الاتجاه نحو العامية فيما يكتبون ، وإن فى اللغة الفصيحة ما يمكن الكاتب من أن يبلغ نفوس القراء إذا كان يريد الحديث إلى أدنى طبقاتهم وأقلها ثقافة

وذكر فى هذا المجال عبارة الفيلسوف اليونانى القديم « قبل كل شئ يجب أن تتكلم اليونانية »

وجاء ذكر الأستاذ محمد السباعى فقال العميد إنه ممن استفدت منهم حقيقة ، وممن لهم الفضل الأول فى إعطائى صورة عن الأدب الإنجليزى ، وإن أول شئ قرأته عن سبنسر كان عن طريق ترجمة السباعى .. وأضاف الدكتور أن من خير ما أعجبه من إنتاج السباعى كتاب « الصور »

ومما يذكر فى هذا المجال أن مكتبة المعارف قد أخرجت للعميد كتابا جديدا ضخما اختار له اسم « ألوان » ... وهو خلاصة حية لفنون الأدب العالمى المعاصر « وألوانه »

بين الرافعى وشوقى

أشار الأستاذ « كمال النجمى » فى كلمة له فى « الجمهور المصرى » عن خصومات شوق بين الرافعى والعقاد وجلة رأيه فى هذا أن الرافعى غير رأيه فى شوق ، وأن العقاد ظل مصرا على رأيه فيه إلى النهاية .. وهذا الرأى بعد أن تبين للأستاذ النجمى ، أن ما كتبه الأستاذ شفيق منصور عن الكتاب « الذى لم يصدر » عن شوق ، كان مجرد مداعبة للكاتب بمناسبة ذكرى أمير الشعراء

ومما يذكر فى هذا المجال أن الرافعى قال فى كلمته التى نشرها المقتطف بعد وفاة شوق إن السر فى عبقرية شوق أنه لم يكن « مصريا » .. وقد أزعجت هذه العبارة المرحوم الشيخ عبد الله عفيفى ففتح بابا أسبوعيا فى جريدة البلاغ عنوانه « مصر الشاعرة » ظل يختار فيه كل أسبوع لمحات من قصائد الشعراء المصريين طوال العصور الماضية تعززا لهجومه على رأى المرحوم الأستاذ الرافعى

ومن الذين غيروا رأيهم فى « شوق » الدكتور هيكل .. فبعد أن كتب مقدمة الشوقيات كتب فصولا فى السياسة فى مهاجمة شوق

حول الأدب النسوى

أرسلت إلى الكاتبة (ل . س) قصائد من الشعر المنثور ترغب فى نشرها فى الرسالة . . . وقد هاجمت الرأى الذى أعلنته فى إحدى المقالات السالفة عن « الأدب النسوى »

تقول : أدهشنى ياسيدى أنك تتجنى على المرأة بغير شفقة ناسيا أو متناسيا تلك القطعة النثرية الرائعة التى كتبتها « ابنة الشاطئ » والتى مطلعها

« شاقنى أن أرفع إليك نجواى . . . وقد فصلتنى عنك قطعة من الزمان . . »

. . والحق أننى لا أعرف أن للسيدة الدكتورة بنت الشاطئ شعراً منثوراً .. أما أننى أتجنى على المرأة . . فلا وألف مرة لا

أنا على ثقة بأن « الأدب النسوى » لم يكتب بعد ، وأن كل مايكتب الآن ماهو إلا لمحات عامة ، لم تأخذ بعد الصورة النهائية الواضحة . . الجديرة بأن يطلق عليها هذا الاسم

صحيح أننى أقرأ هذه الأيام لأسماء جديدة :

. . . الزهرة ، الزهراء ، نعمات أحمد فؤاد ، نفيسة الشيخ ،

البريد الأدبي

قيس بن ذريح أم قيس بن الملوح ؟

منذ أيام كنت أقرأ فى كتاب « أبحاث ومقالات » للأستاذ أحمد الشايب الذى صدر سنة ١٩٤٦ ، فوجدت فى مقاله السادس عن الغزل فى تاريخ الأدب العربى صفحة ٢٨٣ قصيدة :

تكاد بلاد الله يا أم مالك — بما رحبت يوما على تضيق

« للمجنون » كما نسبها الأستاذ الفاضل فى كتابه ، ووجدت أن هذه القصيدة مازالت عالقة بذهنى ورأيت أننى كنت قد نقلتها عن « الأغانى » لأبى الفرج . فرجعت إليها وتحققت أنها لقيس ابن ذريح لا لقيس العامرى والتى من أبياتها ما يثبت صحة نسبها إليه :

سلى هل قلانى من عشير صحبته	وهل ذم رحلى فى الزمان رفيق
تكاد بلاد الله يا أم معمر	بما رحبت يوما على تضيق
تكذبنى بالود لبنى وليتها	تكلف منى مثله فتذوق
ولو تعلمين الغيب أيقنت أننى	لكم والهدايا المشعرات صديق
أزود سوام الطرف عنك وهل لها	إلى أحد إلا إليك طريق
تتوق إليك النفس ثم أردها	حياء ومثلى بالحياء حقيق
فإنى وإن حاولت صرمى وهجرتى	عليك من احداث الردى لشفيق

ولكنى لا زلت أرى هذه البراعم ماتزال فى طريق التضوج ، ولا يمكن الحكم عليها

قائمة سوداء

.. أما قصيدة الشعر المنثور « قائمة سوداء » التى تفضلت السيدة بإرسالها إلى فإن فى روحها معانى لامعة حية ، تدل على نفسية مجربة خبيرة ، قاست من الحياة وعانت ... فما المانع أن تصاغ هذه التجربة النفسية فى قصة . إنها إذن تكون غاية فى القوة والروعة ، ولن تتردد الرسالة فى نشرها

وإنى لأرجو أن تتفضل الكاتبة (ل . م) بأن ترسل إلى عنوانها لأرد على المسائل التى سألتنى عنها ردا خاصا لها ، فهو مما لا ينشر على صفحات مجلة الرسالة . ولها تحياتى وإعجابى

أنور الجندى

إلى آخر القصيدة . ولست أقصد من وراء هذا أننى أشك فى قيمة مقالات الأستاذ وإنما أود التحقق من صحة نسب هذه القصيدة بالذات مع خالص اعتذارى للأستاذ أحمد الشايب.. فالرجا التفضل بالشرح والتوضيح

ل . م

أوامر مهملة

إن الشعب الذى لا يستجيب لنزعات الإصلاح بل يتمرد عليها ، ولا يتمشى مع خطوات النهضة بل يسخر منها ؛ هو شعب لا يستحق الحياة ، ولا يصلح للعيش الكريم الذى يليق بالشعوب الكريمة

والأوامر التى تصدرها الدولة عادة تكون فى صالح الشعب ، فكان أحرى بالشعب أن يستجيب لها ويرحب بها وينفذها بدقة ، وأجدر به أن يجعل من نفسه حارسا لها من العبث والاستخفاف بها ، وقد كان العهد البائد وزءا ثقيلا على عبء الشعب المصرى ، جعله لا يلقى لأوامر الحكومة بالا حتى ولو كانت فى خدمته أو صالحه ، أما وقد انقرض العهد البائد إلى غير رجعة ، فالواجب على الشعب أن يفتح أعينه من جديد ليدرك فى أى عهد يعيش ، وليدرك أن العهد الجديد يتطلب شعبا جديدا يتعاون مع نزعات الإصلاح ويتمشى مع خطواته

وأعتقد أنه من أهم الخطوات الإصلاحية إيجاد شعب قوى يتمتع بصحة جيدة ، وعافية وافية ، ولن يتيسر وجود هذا الشعب إلا إذا كان للأوامر الصحية لديه ترحيب وتقدير ، لا سخرية واستخفاف

وإليك مثلا واحداً لأمر واحد من الأوامر الصحية المهملة فى هذا البلد ، وهو أمر نلمسه جميعا صباحا ومساء وفى معظم أوقات اليوم ، فأنت حين تركب « تراما » أو سيارة عامة لا بد أن تقع عيناك على لافتة بارزة وواضحة للجميع كتب عليها « البصق والتدخين ممنوعان بأمر وزارة الصحة » كل منا قرأها مرارا وتكرارا ، ولكن هل هناك اهتمام لهذا الأمر ؟ كلا وألف كلا .. إن الركاب ولاسيما الطبقة المثقفة — ويا للأسف — يصرون على تدخين لفائف التبغ داخل المركبات العامة ويكاد

الدخان المتصاعد منها يطمس أحرف اللافتة ، ويصرون على البصق وهم يرمقون اللافتة بنظرات تنم عن السخرية والاستخفاف !

هذا مثل واحد للأوامر المهملة ، وأعتقد أنه لا يكفي أن تدون الأوامر في لافتات إذا لم يكن وراءها قوانين قاسية تؤدب المخالفين ، وإلا فلن يكون مصيرها إلا الإهمال والاستخفاف !

نفيسة الشيخ

مهرجان الشعر

تحدث الأستاذ أنور الجندي في العدد « ١٠٠٩ » من الرسالة الزاهرة عن مهرجان الشعر الذي دعت إليه جمعية الشبان المسيحية بالقاهرة ، احتفالا بيوم الجيش .. وقد استوقفتني أشياء عديدة في حديثه ، إحداها أنه كان يود أن يسمع قصيدة عصماء من الأستاذ خالد الجرنوسي .. وهذا القول يدل على أن الأستاذ الجندي لم يشهد المهرجان ؛ لأن الأستاذ الجرنوسي ألقى فعلا إحدى قصائده ؛ اللهم إلا إذا كان الأستاذ الجندي لا يرى فيها أنها قصيدة عصماء ! ؟

ويعجب الأستاذ الفاضل من أن الذين تحدثوا كانوا من الشعراء الجدد ، ثم يتحدث عنهم بكثير من العطف ، أعتقد أنا ، ويعتقدون معي أنهم في غنى عنه

وأرى أنه من الطبيعي أن يتحدث الشعراء الشبان ، لأنهم يمثلون — أصدق تمثيل — تطور العقلية الأدبية في مصر ، ولأنهم أحسوا أكثر من غيرهم آلام وطنهم المكبل ، فاهتزت عواطفهم ووجداناتهم الجائشة ، معبرة عن انفعالاتها ، وأيضا لأن أقلامهم الفتية لم تلوث بمداد الذلة والابتهال إلى الطغاة

وأخيرا أحب أن أقول للأستاذ أنور الجندي ، إنه من الملاحظ على كتابته بصفة عامة .. أنه يصدر أحكاما سريعة ، دون أن يتعمق فهم المؤثرات المختلفة التي توجه التيارات الأدبية ، وتحدد ألوانها .. لاحظت ذلك في حديثه عن الشعر المنثور ، وعما يسميه مذهب الفن للفن ، وفي حديثه عن الشعراء الجدد ، وغير الجدد ، وفي طريقة تناوله وفهمه للأدب المعاصر ..

محمد فوزي العنتيل

رد على نقد

طالعت في عدد الرسالة الغراء رقم (١٠٠٥) القصيدة العصماء (وحي البردة) للشاعر المبدع الأستاذ ميشيل الله ويردي ، مؤلف فلسفة الموسيقى الشرقية ، وقد تناقلتها صحف كثيرة وقرظتها أجمل تقريظ ، ثم قرأت في العدد (١٠٠٧) من الرسالة نقدا للسيد عبد اللطيف محمود الصعيدي يتعلق بكلمات في القصيدة يظهر أن معانيها خفيت عليه فظنها حشوا ، مع أنه لا يعقل أن يلجأ إلى الحشو شاعر فحل كصاحب هذه القصيدة . ولعل للسيد الصعيدي بعض العذر لأن القصيدة نشرت بدون شكل كما أنه جاء فيها بعض أخطاء مطبعية ، فإيضاحا للحقيقة ونفعا لمن يمكن أن تخفى عليه معانيها الجليلة رأيت أن أرد على نقد السيد الصعيدي مستندا إلى قواعد اللغة وأحدث المعاجم كالبستان والمحيط وأقرب الموارد

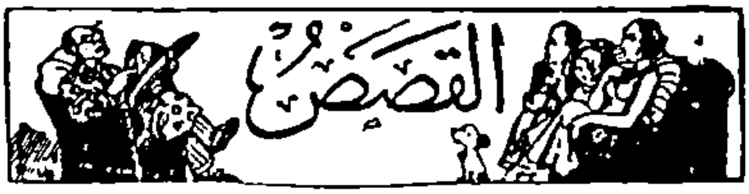
أولا — ليس الوسم بمعنى الوسامة ، بل هو مصدر وسم الشيء أي طبعه بطابعه ، أما الأرم فهو العلم ، ومن معانيها العلامة والأثر ، وأرم الشيء أرما ، شده وضم بعضه إلى بعض ، كضرب ضربا ، أو بفتح الراء كطلب طلبا ، ومنه الأرومة التي تضم الجذوع ، وتستعار في الحسب ، والمعنى في الحالين أن الاتحاد الفكري أهم من الشكلي

ثانيا — السلم بفتح اللام بمعنى السلام ، محيط ص ٩٨٨ ، وقد وردت هذه الكلمة في قصائد كثيرة ولا مجال لإيراد الشواهد

ثالثا — ليست (يكمد) بتشديد الدال بمعنى يستحب ، بل بمعنى كمد الشيء أي تغير لونه ، على وزن افعل مثل اربد واصفر الخ . والمعاجم لا تذكر الأفعال المزيدة إذا لم تغير الزيادة معناها ، ولا سبيل لنقد كلمة تجيزها القاعدة والذوق السليم

رابعا — اللدم خطأ مطبعي ، وصحتها (السدم) بتشديد السين المفتوحة وكسر الدال ، وهو الشديد العشق وقول الشاعر (ليس دعي الحب كالسدم) من الناحية المنوية كمعنى قول المتنبي (ليس التكحل في العينين كالكحل) من الناحية المادية

خامسا — الحسم بضمتين الأطباء (البستان ص ٥١٣) وهي جمع حسوم أي الذي يقطع في الأمر ويتممه على أحسن وجه ،



أرمـــــلة

عن الفرنسية

كان ذلك فى أوان الصيد فى قصر بانفيل ، والخريف مطير حزين ، والأوراق المنتثرة ذابلة محمرة لا يسمع لهـا تقصف تحت الأقدام ، بل تعطن فى السكك بمدارج العجلات تحت شـآبيب الديم الهطالة

وكانت الغابة وهى جرداء إلا قليلا تشبه الحمام من الرطوبة . فإذا أوغلت فيها تحت أفنان الدوح العالى يصفقه وابل الطرشملك رائحة نخمة وهبوه ماء من العشب المخضل والأرض المبتلة

والصيادون حناة الظهور يدبون تحت هذا الفيض الهتون ، والكلاب محزونة ذيولها مرسلة ، وشعرها ملتصق بآطالهـا ، والفانيات الصائدات فى أثواب الصوف المفصلة لاصقة مشربة بالبلل ، وهم كل مساء يؤوبون من الصيد أنضاء جسم وعقل أجمعين

وفى البهو الكبير بعد العشاء يجتمعون إلى لعبة الورق متقارعين ، من غير انبساط ولا لذة . وللريح فى الخارج هبـات مدوية تدفع فى مصاريع الشبابيك المغلقة ، وتبتدر دوارات الهواء فوق الأبراج فإذاهى من دوران كالخذروف الدوم .

فأرادوا أن يسمروا بالحكايات كما تروى فى الكتب ، ولكن الله لم يفتح على واحد منهم بابتداع حكاية مسلية . ومضى الصيادون يقصون ما وقع لهم أثناء صيدهم بالبنادق وتقتيلهم للأرانب ، وجعلت الفانيات يكددن أذهانهن ويتقصين فى ثناياها فلا يجدن خيالا كخيال شهر زاد يسعفهن بحكاية من أمثال حكايات ألف ليلة . وكادوا يكفون عن الأحاديث . وكانت إحدى الفانيات تعبث خالية البال بيد عمتها العجوز ، وهى عانس لم تتزوج ، فلحظت خاتما صغيرا من شعرات شقراء طالما وقع ناظرها عليه من غير أن تفكر لحظة فيه

فسألتها وهى تديره فى إصبعها بلطف : « ألا قلت لنا يا عمتى ما هذا الخاتم ؟ لكأنه شعر غلام يافع ... » فاحمار وجه العانس ثم اصفار ، وأجابت بصوت متهدج : « إن الأمر محزن جدا ، محزن جدا ، حتى لست أحب الكلام عنه . وكل مافى حياتى من الشقاء فهذا مصدره . لقد كنت فى غرارة الشباب وقتئذ ، وما زالت تلوعنى الذكرى حتى ليغلبنى البكاء كلما خطرت فى نفسى »

فتلهفوا إلى سماع الخبر ، وأبت العمة ذلك عليهم ، فما زالوا بها حتى رضيت فى آخر الأمر :

« كثيرا ما سمعتمونى أتحدث عن أسرة سانتيز ، وقد انقرضت اليوم جميعا ، ولقد عرفت الثلاثة الرجال الأخر من هذا البيت ، والثلاثة ماتوا ميتة واحدة وهذه شعرات الأخير ، وكان فى الثالثة عشرة من عمره حين انتحر من أجلى . لقد يبدو لكم الخبر غريبا ، أليس كذلك ؟

آه . لقد كانوا معشرا عجيبا من المجانين ، إن شئتم هذه التسمية ، ولكن مجانين ظرفاء ، مجانين غرام . فهم جميعا — أبا

ويطرد وزن فعل بضمتين فى جمع فعول

سادسا — الجسم بضمتين الأمور العظام ، (البستـــان ص ٣٦١) وهى جمع جسيم ، كقضيب وقضب بضمتين

سابعا — الرم بضم الراء المشددة ، الجوارى الكيسات ، وهى جمع رامة ، وقد ظنها الناقد بكسر الراء فكتب ما كتب دون أن يعود إلى المعاجم ، والمعنى أن النساء على ما فيهن من كياسة وظرف ، كن يعشن كالجوارى والإماء قبل عهد الرسول (ص) فلما اشترع حقوقهن كان أول من نادى بهذه المأثرة الاجتماعية ، ونصيحتى إلى السيد الصعيدى أن يعيد قراءة هذه الدرة الثمينة بعد استبدال عدسة منظاره بعدسة ناصعة ، فالإنصاف واجب فى مثل هذه الحال ، والسلام

دمشق حمدي بابل

عن جد – أصحاب عواطف عارمة جامحة ، تدفعهم من كيانهم كله دوافع قوية إلى أبعد السبحات وإلى التفانى وفرط التحمس ، بل تذهب بهم إلى حد ارتكاب الجرائم ؛ وهذا منهم بمقام فرط التدين فى بعض النفوس . وشتان فى الطبيعة والمزاج بين أهل العبادة وبين رواد المجالس أزيار النساء . وكان يتردد فى أوساطهم وبين ذوى رحمهم قولهم : « عشق كعشق بنى سانتير » ، وحسبك أن تراهم فتجد هذا على سيماهم . فكلهم شعره ذو خصل منسدلة على الجبين ولحيته جعدة وعيناه واسعتان ينفذ شعاعهما فى نفسك فيبلبلك ويشغل خاطرك دون أن تعرف لذلك سببا

وكان جد الغلام – الذى رأيتم فى إصبعى تذكاره الوحيد – له مغامرات عدة ومبارزات وسبى واستباحة للحريم . وقد هام بعدها وهو فى نحو الخامسة والستين بابنة مؤاجر ضياعه . وإنى لأذكرها . وكانت شقراء شاحبة اللون ، حسنة السمت والشارة ، تتكلم متئدة وفى صوتها لين وترطيب ، ونظرتها حلوة غاية فى الحلاوة كأنها نظرة العذراء فى صور الرسامين . فأخذها السيد الكهل عنده ، وسرعان ماأصبح متيما بها لا يطيق البعد عنها لحظة . وكانت ابنته وامرأة ابنه القيمتان فى القصر يجدان الأمر طبيعيا لطول ماقر الحب فى تقاليد الأسرة . فالموضوع مادام محوره العشق فليس فيه ماتستكرانه وتتعجبان منه . وإذا دار الحديث أمامهما عن هوى قامت الموانع دون قضاء لباناته ، أو عاشقين فسد مابينهما ، أووقائع الانتقام من الخيانة أونقض العهد قالتا معاً فى لهجة شجية : « له الله ! أو (لها الله) لشد ماقد تألم ولا ريب حتى بلغ الأمر هذا المبلغ ! » ثم لم تزيدا على ذلك . وإنهما لترثان لمآسى الحب ، ولا تنقمان قط على أصحابها ولو أجرموا

إلا أنه فى ذات خريف كان بين المدعوين للصيد شاب فى عنفوان الشباب ، هو المسيو دى جراديل فاختطف الفتاة . وظل المسيو سانتيز هادئا كأن لم يحدث شئ . وإذا هم يصبحون ذات يوم فيجدونه مشنوقا بمرقد الكلاب وهى حوله

وقد مات ابنه مثل هذه الميتة فى فندق بباريس فى أثناء رحلته سنة ١٨٤١ ، على أثر خيانة إحدى مغنيات الأوبرا له . وترك بعده ولدا فى الثانية عشرة وأرملة هى أخت أبى . وجاءت السيدة ومعها الصغير للمقام عندنا بأرضنا فى بريتون . وكنت وقتئذ قد بلغت سبعة عشر ربيعا

ولابد لكم أن تتصوروا كيف كان هذا الصغير سانتيز مدهشا باكر النضوج قبل الأوان . وإنه ليخيل إلى المرء أن جميع صفات أسلافه من رقة عاطفة وسبحات نفس جائشة قد اجتمعت فيه ونزلت به ، بهذا العقب الأخير . وكان على الدوام حالما ، يتمشى وحيدا ساعات كاملة فى ممشى رحيب بين أشجار الدردار الممتدة من القصر إلى الغابة . وكنت أرقب من نافذتى هذا الصبى الرقيق الوجدان وهو يسير وقور الخطى ويداه خلف ظهره مطرقا إلى الأرض ، وأحيانا يتوقف ويرفع طرفه كأنه يرى ويدرك ويحس أشياء ليست لمن كان فى سنه

وكثيرا ما كان يدعونى للخروج بعد العشاء فى الليالى القمرة قائلا : « هلمى يا ابنة الخالة نحلم . . » فنمضى سويا إلى الروض . وكان يتوقف فجأة فى الفجوات بين تفاريج الشجر ، حيث تطفو تلك الهبوة البيضاء مثل نديف القطن يبطن بها القمر فجوات الغاب . ويقول لى وهو يشد على يدى : « انظرى إلى هذا ، انظرى إلى هذا ! ولكنك لا تفهميننى ؛ إنى لأحس ذلك . لو أنك تفهميننى لكنا سعداء . لابد من الحب لمن شاء المعرفة » . وكنت أضحك وأقبله ، أقبل هذا الصبى الذى يحبنى مستهلكا فى حبى . وكان أيضا بعد العشاء كثيرا ما يجلس على ركبتى أمى قائلا لها : « إيه يا خالة ، قصى علينا شيئا من قصص الحب » فتحكى له أمى على سبيل الدعابة أساطير أهل بيته كافة وجميع ما وقع لآبائه من الوقائع الغرامية ، والناس يرددون منها الألوف بعد الألوف من صحيحه ومفتراه . إن هؤلاء القوم قد أضاعتهم شهرتهم ، فقد كانوا يستجيشون لها ثم تملكهم العزة أن يكذبوا سمعة بيتهم وما اشتهر به

وكان الصغير يهتز لهذه الحكايات : لطيفها وفظيعها ، وكان فى بعض الأحيان يدق بيديه مرددا : « وأنا أيضا ، وإنى لأعلم بالحب منهم جميعا » . ثم جعل يتحبب إلى متنزلا فى استحياء وحنان عميق كانا مثارا للضحك لشدة غرابة الأمر . وكان فى كل صباح يقطف لى جنى الزهر ، وفى كل مساء قبل صعودى إلى مقصورتى يلثم يدى هامسا : « أنا أهواك ! »

لقد أذنبت ، وركبنى أعظم الذنب . وما زلت على هذا نادمة باكية لا يرقأ لى دمع . وإنى لى التكفير عن هذا طيلة حياتى ، وقد بقيت بعده عانساً لا أتزوج ، بل بقيت كالخطيبة المترملة ، أجل أنا له ، الأرملة . كنت ألهو بهذا الحب الصبيانى بل كنت أعمل على إذكائه . فكنت المرأة الخلوب ذات الدلال ، وكأنى إلى جنب رجل ألاعبه وأخاتله . لقد فتنت هذا الغلام ودلهته بحبى . وكان الأمر عندى لعباً ومعابثة ، وعند أمى وأمه تسلية وترويحا . لقد كانت سنه اثنتى عشرة سنة ، فتأملوا ! من كان يأخذ مأخذ الجد هذا الغرام الذرى ! فكنت أقبله ما شاء ، بل كنت أكتب رسائل العشق إليه وأقرئها أمى وأمه قبله ؛ وكان يجيب عليها بكتب مسطورة ، كتب من نار ، وقد احتفظت بها . وكان معتقدا أن صلتنا الغرامية كانت سرا مكتوماً ، وكيف لا وهو يعتد نفسه رجلا والأمر فى عرفه الجد كل الجد . وقد غاب عنا أنه من بنى سانتيز

ودامت الحال على هذا المنوال عاماً أو قرابة عام . وفى ذات مساء ونحن فى الروضة خر جاثياً عند قدمى ولثم حاشية ثوبى فى اندفاع المهتاج مردداً : « أنا أهواك ، أهواك ، أنا ميت فى هواك . وإذا خنتنى فى يوم من الأيام ، أسامعة أنت — إذا هجرتنى إلى سواى فإنى صانع مثلما صنع أبى ... » وأردف فى صوت عميق يقشعر له البدن : « أنت عليمة بما صنع ! »

ولما وجمت ولم أحر جوابا نهض وشب على أطراف قدميه ليبلغ إلى أذنى — وكنت أفرع منه طولا — ودعانى باسمى ، إسمى الأول ، « جنفييف ! » بنغمة حلوة جيلة رقيقة شملتنى منها قشعريرة سرت من فرعى إلى أخمص قدمى

فغمغمت : « لنرجع ، لنرجع إلى الدار » . فلم ينبس بكلمة وسار فى إثرى ، فلما هممنا بصعود درج السلم استوقفنى قائلا : « أتعرفين ؟ إذا هجرتنى فإنى قاتل نفسى »

فعلمت هذه المرة أننى تماديت حيث لا يجب التمادى وتكلفت معه التحفظ . ولما أن كتب ذات يوم يعتب على أجبته : « أنت اليوم أكبر من عبث المزاح وأصغر من جد الحب . وإنى فى الانتظار » . وحسبتنى بهذا قد أبرأت ذمتى

وفى الخريف مهدوا به إلى مدرسة داخلية ؛ فلما عاد فى الصيف التالى كنت مخطوبة . فأدرك الأمر فى الحال ، والتزم مدى ثمانية أيام هيئة الفكر الغارق فى التفكير . فأهمنى ذلك وساورنى منه قلق شديد

وفى صبيحة اليوم التاسع استيقظت من نومى فوقعت عيناى على رقعة صغيرة مدسوسة من تحت الباب . فتناولتها وفتحتها وقرأت فيها : « لقد هجرتنى ، وأنت تعلمين ما قلته لك . لقد قضيت على نفسى بالموت . وإنى لأحب ألا يعثر بى أحد غيرك ، فتعالى إلى الروض فى نفس الوضع الذى قلت لك فيه أنى أهواك وتطلعى فى الفضاء »

فكدت أن أجن . وأسرعت بارتداء ثيابى وهرولت على عجل أجرى وأجرى وأكاد أتساقط إعياء إلى المكان المعين . وإذا قبعته الصغيرة المدرسية ملقاة على الأرض فى الوحل . فقد كانت الليلة مطيرة . ورفعت طرفى فأبصرت شيئاً معلقاً يترجح بين الورق ، وكان يوم ريح ، ريح شديدة

ولا أدرى بعد ذلك ماصنعت . لقد صرخت أول الأمر ولا ريب ، ولعلنى سقطت بعدها مغشيا علىّ ، ثم عدوت هائمة على وجهى إلى القصر . وثبت إلى الرشد فى فراشى وأمى إلى جانبى تخيل إلىّ أنى رأيت ما رأيت كله فى هذيان حلم فظيع . فغمغمت: « وهو ، هو ، جونتران ؟ » فلم يجبنى أحد . إنها الحقيقة

ولم أجرؤ على طلب رؤيته . وطلبت إليهم خصلة طويلة من شعره الأشقر . وهذى ... هذى ... هى ... »

ومدت العانس يدها الراجفة بحركة القانط المقطوع الرجاء وأخرجت منديلها ومخطت مرات ومسحت عينيها الدامعتين واستأنفت تقول : « ونقضت الخطوبة دون إبداء سبب ... وبقيت ... العمر كله أرملة ... أرملة ... هذا الصبى ابن الثلاثة عشر ربيعاً » . ثم مال رأسها على صدرها وبكت طويلا بدموع الذكرى

ولما انصرف المدعوون إلى حجراتهم للرقاد، مال صياد غليظ الجسم قد أفسدت عليه الحكاية صفوه إلى أذن جاره هامساً : ألا ترى أن رقة الوجدان إلى هذا الحد بلاء وشر بلاء !

ع . ص

مطبعة الرسالة